الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون تيارت
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الحامل البيداغوجي

سند تأهيل لدرجة الأستاذية موسوم بـ

محاضرات في مادة البلاغة الجديدة

موجّهة لطلبة السنة الثانية ماستر ل م د

تخصص نقد حديث ومعاصر

إعداد: الأستاذ مهيدي منصور

الموسم الجامعي

2023/2022- 1443/ 1444هـ

محتوى مادّة البلاغة الجديدة

01	البلاغة الجديدة النشأة والتطوّر
02	الحجاج البلاغي
03	الصورة البلاغية بين التخييل والتداول
04	بلاغة وخطابة
05	البلاغة وضع منطقي
06	البلاغة وضع أسلوبي
07	البلاغة وضع سيميائي
08	البلاغة في السياق العربي
09	البلاغة الإقناعية البيان
10	العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبية
11	المشترك بين البلاغة والأسلوبية
12	أثر البلاغة في الشواهد الشعرية عند النحاة
13	البلاغة والتلقي
14	البلاغة والتأويل

البلاغة الجديدة النشأة والتطوّر

la nouvelle Rhétorique

" البلاغة عنقاء هذا الزمان، لقد احترقت لتنبعث من رمادها من جديد."

جميل حمداوي

تمهيد:

يعدّ البحث في طبيعة الكلام البشري وما ينطوي عليه من المقاصد و الدلالات من المباحث و الدراسات التي شغلت البلاغيين منذ القديم، فكانت عنايتُهم منصبّة حول اللسان ، وما ينتجه من مفردات وتراكيب تشكّل بنية الكلام و مادّته ،هذه المادّة التي تُتيح للباحث الوقوف على أحوال ومزايا اللفظ و ماهيته داخل السياق النصّي الذي ينتظم ويأخذ أشكالاً ضمن الحقل الخطابي . وذلك لما يؤدّيه من وظائف لغوية و دلالية تُعِين على صناعة الخطاب الهادف ، ذلك الخطاب الذي يكون **الإقناع** فيه سمة بارزة تميّزه عن أي خطاب آخر.

و لقد كان الاهتمام باللّغة على الدوام يشكل قطّب الرحى في مختلف الدراسات العلمية و ا لمعرفية ، ممّا أدّى إلى تفرّع الدراسات اللغوية المختلفة من نحو و صرف ودلالة وبلاغة وغيرها ، إلّا أنّ التحوّل الحضاري والفكري الذي شهده القرن التاسع عشر والقرن العشرين خاصّة بعد الثورة التي أحدثها "***فرديناند دي سوسير***" تعدّ قطيعة ابستمولوجية ومعرفية مع الدراسات اللغوية التي كانت قبلها، وهو ما يفسّر النقلة

مخبر التكفل الدولي و تأهيل المعاقين
المخبر، الملتقى
لكلية الآداب
واللغات

النوعية من الدراسات المعيارية نحو الدراسات الوظيفية المعتمدة على المنهج العلمي الدقيق ، وهو الأمر الذي أدّى إلى ظهور الدراسات اللسانية الحديثة باتجاهاتها الثلاثة الكبرى : **البنيوية- التحويلية -التداولية** ، والاتجاه التداولي هو الذي اهتمّ بمجالات البلاغة الجديدة وهيّأ لها الحيّز الإجرائي التطبيقي بداية من خمسينيات القرن (19) 1955م.

البلاغة عند أرسطو :

يعدّ أرسطو فيلسوفاً موسوعيا شاملا ، لأنّ فلسفته تنفتح على كلّ ضروب المعرفة والبحث العلمي فهي تبحث في الطبيعة والميتافيزيقا والنصّ و علم الحياة والسياسة والشعر والمسرح و الخَطابة .و أرسطو هو من وضع **المنطق الصوري** الذي تبعه فيه كثير من الفلاسفة إلى أن حلّ محلّه **المنطق الرمزي** مع برتراند راسل.

واكتشف لنا العلل الأربعة :

1- **العلّة الفاعلة** (النجّار يحيلنا على العلة الفاعلة).

2- **العلّةالصورية** (وهي صورة الطاولة).

3- **العلّة المادية** (الخشب ماهية الطاولة وعلتها المادية).

4- **العلّةالغائية** (تظهر في الهدف من استعمالها).

و يعدّ كذلك **أرسطو** من الفلاسفة الأوائل الذين نظّروا للبلاغة إلى جانب سقراط من خلال رؤية حجاجيّة خصّها بكتابين هامّين هما : **الريطوريقا (البلاغة)**، و **(الحجج المشتركة)** ،و فضّل أرسطو البلاغة على المنطق لأنّ : البلاغة أكثر فاعلية في المجتمع وتعدّ آداة ناجعة في تفعيل **الجدل** والخوض في المناقشات السياسية والفكرية .في حين أنّ **المنطق** : يبقى حبيس المعرفة العلمية بعيدا عن السياسية و الجدل .فالبلاغة عنده

أداة تطبيقية تتخلّل المنطق والسياسة والأخلاق؛ فالهدف الحقيقي من البلاغة في نظر أرسطو التأثير والاقناع والوصول إلى الحقّ والعدالة عبر الجدل و الاستدلال البرهاني والمنطقي عكس ما كانت عليه عند السفطائيين عنوانا **للتضليل** و **الباطل** و **الابتذال**.

وعليه فقد كانت البلاغة عند أرسطو خطاباً حجاجياً يقوم على وظيفتي **التأثير و الإقناع** وفي هذا النطاق يقول **أرسطو:** "يحصل الإقناع ، حين يُهَيأ المستمعون و يستمليهم القول الخطابي حتّى يشعروا بانفعال ما ؛ لأنّنا لا نصدر الأحكام على نحو واحد حسبما نحسّ باللذّة أو الألم ... والخطاب هو الذي ينتج الإقناع حينما نستخرج الصحيح الراجح من كلّ موضوع يحتمل أن يقع فيه الإقناع"[1]

وعليه فإنّ أرسطو سبق عصره بأرائه البلاغية الرائدة في مجال الحجاج والاقتناع إذ استخدم أدوات حجاجية واستدلالية ومنطقية للتأثير في الآخر و إقناعه ذهنياً و وجدانياً وفق مجموعة في الوسائل الأدائية هي:[2]

1-**اللوغوس** : يقابل المرجع الذي يعني الكلام والحج والأدلة (يظهر في نسق الرسالة التواصلية).

2-**الإيتوس** : الذي يتمثل في مجموعة من القيم الأخلاقية والفضائل العليا يتحلّى بها الخطيب.

3-**الباتوس** : الذي يتعلق بالمخاطب ويكون على شكل أهواء و انفعالات.

- [1]أرسطو:فن الخطابة، ص:.16

[2]انظر: أرسطو:فن الخطابة، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة2008م.

ولقد أشار ارسطو إلى ثلاثة أنواع من التصديقات التي يلجأ إليها المتكلّم من أجل الإقناع ،قائلا:" فامّا التصديقات التي يحتال لها بالكلام فإنّها أنواع ثلاثة:

1-فمنها ما يكون بكيفية المتكلّم وسمته.

2-ومنها ما يكون بتهئة السامع و استدراجه نحو الامر

3-ومنها ما يكون بالكلام نفسه."

البلاغة الجديدة: la nouvelle Rhétorique

أخذت عدّة مسميات **"البلاغة الجديدة"** و **"البلاغة المعاصرة "** و**"البلاغة الحجاجية"** تأسّست منذ 1958 على يدّ الرجل القانوني التشيكي - شايم بيرلمان chaim Perlmanواللسانية البلجيكية لوسي أولبريخت تيتيكا "Lucie olbrechts - معا كتابها **(الوجيز في الحجاج ، البلاغة الجديدة)** .ثم تطوّرت البلاغة فيما بعد مع ستيفان تولمان "Stephen Toulmin" في كتابه **"استعمالات الدليل و الحجّة "**، وشارل هامبلان " Charles Hamblin" في كتابه **"الأوهام"** .

تعريف البلاغة الجديدة :

هي تلك البلاغة الحجاجية التي تتعارض مع بلاغة الصور الفنّية والمحسنات البديعية ، ويمكن اعتبارها بلاغة أرسطية جديدة تقوم على الإقناع.و**المقاربة الحجاجية الجديدة:**يقول بيرلمان : " البلاغة الجديدة على خلاف البلاغة الكلاسيكية ، هي حقل يُعنى بدراسة الخطاب الموجّه بمختلف أشكاله المتعدّدة نحو المخاطَب/المتلقي/الجمهور ، سواء كان حشدا متجمِعا في ساحة عامة، أو في اجتماع لمختصّين، أو كان خطابا موجها نحو فرد واحد أو نحو البشرية جمعاء؛ إنّه حقل يفحص حتى الحجج التي نوجهها إلى ذاتنا خلال حوار خاص بيننا و بين

أنفسنا . وبالنظر إلى أن موضوع **البلاغة الجديدة** هو دراسة الخطاب غير البرهاني، وتحليل الاستنباطات غير المقتصرة على الاستنتاجات الصائبةبصورةشكلانية،وعلى حسابات رياضية أقل أو أكثر ميكانيكية، تصبح إذاً، **نظرية الحجاج** هي **البلاغة الجديدة** (أو **الديالكتيك الجديد**) التي تشمل كلّ حقل من الخطاب الذي يسعى إلى الحث والإقناع، مهما كان نوع الجمهور الموجه إليه الخطاب، ومهما كان موضوع ذلك الخطاب 1.

لذا اعتير بيرلمان الصورة الفنّية ليست صور فنية وجمالية وظيفتها الإمتاع فقط كما هو السائد في البلاغة التقليدية، بل هي من طبيعة حجاجية وإقناعيه بامتياز، تستخدم في الخطاب الحجاجي لإقناع الغير واستجلاب موافقتهم و رضاهم.

البلاغة عند العرب:

كلمة بلاغة عند العرب لا تطرح إشكالا كما قال محمد العمري في كونها "علم الخطاب الاحتمالي بنوعيه **(التخييلي والتداولي)** و ذلك نتيجة الدمج الذي مارسه في المرحلة الثانية من تاريخها كلّ من عبد القاهر وابن سنان الخفاجي ثمّ السكاكي وحازم القرطاجني.

و أما في الثقافة الغربية فإنّ الكلمة المقابلة لكلمة "بلاغة" بالعربية حاليا ربطوريك "Rhétorique " تترد بين ثلاثة مفاهيم كبرى :

---

[1]ينظر :جميل حمداوي ، المقاربة الحجاجية بين التنظير والتطبيق ،،ص:80

1- **المفهوم الأرسطي:** الذي يخصصه لمجال الاقناع وآلياته، حيث تشتغل على النصّ الخطابي في المقامات الثلاثة المعروفة **(المشاورة المشاجرة والمفاضلة)** وهي بهذا المفهوم تقابل بويتيك التي تُعنى بالخطاب المحاكي المخيّل أي الشعر حصراً.

2- **المفهوم الأدبي:** الذي يجعلها بحثا في صور الأسلوب وهذا المفهوم الذي استقرّ لها عبر التاريخ (**البلاغة العامة**).

3- **المفهوم النسقي** :الذي يسعى لجعل البلاغة علمًا أعلى ويشمل التخييل والحجاج معًا ،أي يستوعب المفهومين معا من خلال المنطقة التي يتقاطعان فيها موسعا هذه المنطقة أقصى ما يمكنه التوسيع.

و قد حدث خلال التاريخ أن تقلّص البعد الفلسفي التداولي للبلاغة وتوسّع البعد الأسلوبي حتىّ صار الموضوع الوحيد لها ، فكانت **نهضة البلاغة الجديدة** منصبّة على استرجاع البعد المفقود في تجاذب بين المجال الأدبي (حيث يهمّش التخييل) والمجال الفلسفي المنطقي اللساني (حيث يهمّش التداول) و في بعض العلوم الأخرى قد أدمج البعدين كليا مثل سيمياء النص وعلم النص.

البلاغة الجديدة والخطاب:

ولد مصطلح البلاغة الجديدة عام **1958م** في عنوان أحد الكتب الشهيرة التي وضعها المفكر البولوني المولد البلجيكي المقام «بريلمان شارل Perelman) « (Charlesتحت اسم «الوجيز في الحجاج: البلاغة الجديدة» يعتمد هذا الكتاب على محاولة لإعادة تأسيس البرهان أو المحاجة الاستدلالية باعتباره تحديدا منطقيا بالمفهوم الواسع كتقنية خاصّة ومتميّزة لدراسة المنطق التشريعي والقضائي على وجه

التحديد، وامتداداته إلى بقية مجالات الخطاب المعاصر هذا عن مدرسة «بروكسل» البلجيكية، أمّا الشكلانية الروسية، فإنه يلاحظ عموما على مبادئها أنها تدور حول وظيفة اللغة التواصلية، وأنها ليست منبتة الصلة بالتقاليد البلاغية الكلاسيكية، باعتبار أن منظر الخطاب هي البرهاني يهتم بدوره بالأشكال البلاغية كأدوات أسلوبية ووسائل للإقناع والبرهان.

البلاغة والتحليل التداولي للخطاب : إذا كانت مدرسة بروكسل والمدرسة الروسية تمثلان التيار الأول في البلاغة الجديدة، فهناك تيار ثان نشأ في الستينات، يرى الباحثون بأنه يعمل في الاتجاه المضاد للتيار الأول وقد ولدت بلاغة هذا التيار في حضن البنيوية النقدية ذات التروع الشكلاني الواضح، تتمثل حدتها في أنها تقوم في مقابل التقاليد المدرسية للبلاغة الفيلولوجية، ويمثلها جماعة من أطلق عليهم البلاغيون الجدد، معظمهم في فرنسا مثل: «جيرار جنيت» و«جان كوهين» و«تودوروف» و«جماعة.م» أو «جماعة ليجا»، كما يطلق عليها أحيانا يلتقون في كثير من مبادئهم وإنجازهم بمثل الدراسات المجازية واللغوية في الثقافة الانجليزية والأمريكية على اختلاف في المناهج والغايات.[1]

وبالإضافة إلى التيارين السابقين هناك اتجاه ثالث مجاوز للتيار الثاني، ومعتمد على السيميولوجيا من ناحية، والتداولية من ناحية أخرى، وقد تحول إليه في نهاية السبعينات بعض أنصار التيار الثاني أمثال «تودوروف» الذي اعترف عام 1979 بأن السيميولوجيا يمكن أن تفهم باعتبارها بلاغة معاصرة، وقد اتضح بعد هذا أن مفهوم

[1] **بلاغة الخطاب وعلم النصّ، ص: 74.73.**

بلاغة الخطاب مرهون بالاعتداد بها كعلم لكل أنواع الخطاب، علم عالمي في موضوعه ومنهجه، مهما اختلفت الأسماء التي تطلق عليه[1])

و" لم تعد البلاغة تهتم ببنية اللغة، كما شاءت التصورات البنيوية تقديمها لنا، ولكنها أصبحت تنظر إلى وظيفتها، وإلى الآثار التي تحدثها في المتلقي.باختصار، أصبحت البلاغة بعد استعادتها للمكون التداولي الذي فقدته في تاريخها الطويل، معنية بالإجابة عن السؤال الآتي: كيف يحصل الإقناع في مقام معين؟ وما هي وسائله الخطابية المستخدمة؟"2 ومن هنا، تدرس المقاربة الحجاجية النصوص والخطابات الاحتمالية والجدلية، ولا تدرس النصوص ذات النتائج اليقينية الخاضعة لمقاييس البرهنة الرياضية والمنطقية. وفي هذا الصدد،يرى أرسطوأن البلاغة" صناعة مدارها إنتاج قول تبني به الإقناع في المجال المحتمل والمسائل الخلافية القابلة للنقاش بمعنى أنها علاقة بين طرفين تتأسس على اللغة والخطاب. يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله أو يثبت لديه اعتقادا أو يمليه عنه أو يصنعه له صنعا.

والوسائل التي تمكن من تحقيق الغرض وبلوغ المأرب عديدة، منها مايأتي من صورة المتكلم لدى السامع. فإذا كان المتكلم مشهورا بالأخلاق المحمودة وحبه للحق وحرصه على العدل في الحكم وتمكنه من القضايا التي يتحدث فيها، مما يجمعه

---

[1]بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 74.

[2]محمد مشبال:في بلاغة الحجاج، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ،سنة2017م، ص:19

مصطلح يوناني هو **(Ethos الإيتوس)**كان حظ الخطاب من الإقناع أوفر وتأثيره في متقبله أبعد غورا. 1.

و أما (اللوغوسLogos) ، فيتعلق باللغة والأسلوب والحجاج. ومن ثم، يحيل اللوغوس على اللغة والخطاب المستعملين في عملية التأثير والإقناع على حد سواء. وبهذا، ينبني اللوغوس على اللغة الحجاجية.

وبهذا ، يكون اللوغوس مرتبطا بالرسالة من حيث لغتها، وأسلوبها وحججها ، وترتيب تلك الحجج. في حين، يتعلق الباتوس بإثارة الأهواء، وتحريك العواطف، و تهييج الانفعالات، وتوجيه المخاطب تأثيرا وإقناعا. وفي هذا، يقول حمادي صمود:" ومنها ما يأتي من انفعالات المستمع وعواطفه ممّا رسمه صاحب الخطابة تحت مصطلح (Pathos).فالخطباء في أحيان كثيرة يخرجون بالحديث عن وجهته الفكرية والاستدلالية، ويلحون به على هذا الجانب من الإنسان القابل للتحريك والإثارة والانفعال.[2] بمعنى أن النفوس تنقبض من جهة، وتنبسط من جهة أخرى، وفي هذا، يقول ا ابن سينا : " فتذعن لها النفس، فتنبسط عن أمور ، وتنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار . وبالجملة ، تنفعل له انفعالا نفسانيا غير فكري سواء كان المقول مصدقا به أو غير مصدق " [3].

---

[1]جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، ص:41 .
[2]حمادي صمود:(مقدمة: في الخلفية النظرية للمصطلح)، ص:.13
[3] ابن سينا: الفن التاسع من الجملة الأولى منكتاب الشفاء، ضمن عبد الرحمن بدوي:أرسطوطاليس في الشعر،مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابيوابن سينا وابن رشد، دارالثقافة، بيروت، لبنان، طبعة1973م، ص:161

الحجاج البلاغي

تمهيد :

للعلوم البلاغية الأثر الفاعل في تعزيز الحجاج وما توصله هذه العلوم من تأثيرات في المتلقي، حين تؤدّي أثرا كبيرا في التسليم والإذعان الذي هو نتاج الإقناع؛ لما تحمله هذه العلوم من مضامين.

و إذا أردنا رصد الحجاج من الناحية البلاغية ، علينا أن نرصد موقعه ضمن علوم البلاغة المعروفة (المعاني ،البيان ،البديع)وعلى وفق ما تراه البلاغة الجديدة ، وتصبح الغاية من هذه العلوم وسيلة وهدف .

والفنون البلاغية مثل (التمثيل والاستعارة والالتفات ،والتقابل ،والتفريع)آليات بلاغية؛ لأنها تسهم في الإمتاع وفي الوقت نفسه تعدّ حاملات للحجاج، وانطلاقا من هذا فإنّ البلاغة مسلك رئيس من مسالك الحجاج والاستدلال ،ذلك لأنّ العلوم البلاغية تكتسب قوّتها التأثيرية الحجاجية ؛ لأنّها لا تخاطب العقل والذهن فحسب ،و إنما تخاطب الإحساس والانفعال أيضا[1].

1- المعنى اللغوي للحجاج:

الحجـاج والمحاجـة مـصدر لفعـل «حاجج» وفي لسان العرب لابن منظور وجد مايلي [2]- حاججته: أي غلبته بالحجة التي أدليت بها. - الحجة: هي البرهان أو ما دوفع به الخصم، وتجتمع الحجة على حجج وحجاج، ويقال: حاججته محاجة وحجاجا أي نازعته بالحجّة. - التحاجّ: هو التخاصم، والرجل المحجاج هو الرجل الجدل. - الاحتجاج: من احتجّ بالشيء، أي اتخذه حجّة، ويقال: أنا حاججته

---

[1] **ينظر:مثنى كاظم صادق،أسلوبسة الحجاج التداولي والبلاغي ،ص:163.**

[2] **لسان العرب، لابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، 1997، مـادة (حجج)، ص: 228.**

فأنا محاجه وحجيجه أي مغالبه بإظهار الحجّة التي تعني الدليل والبرهان. ومن خلال هذه التحديدات القاموسية يبدو أن لفظ الحجاج أو المحاجة يحمل في مضمونه دلالة ومعنى مستمدين ممّا يشكل سياقه أو شرطه التخاطبي المتمثل في (التخاصم) و(التنازع) و(الجدل) و(الغلبة) كعمليات مأخوذة هنا بمعانيها الفكرية والتواصلية"[1].

مفهوم الحجاج:

يعتبر مفهوم الحجاج (المحاجة) من المفاهيم التي تحدث الالتباس لدى أي باحث، ومرد ذلك إلى أسباب عدة ملخصها كالآتي:

» -تعدد مظاهر الحجاج وتنوعها (الحجاج الصريح، الحجاج الضمني،.(...

تعدد استعمالات الحجاج وتباينت مرجعياتها: الخطابة، الخطاب القضاء، الفلسفة، المنطق،...

خضوع الحجاج في دلالته إلى ما يميّز ألفاظ اللغة الطبيعية من رخوة وليونة تداولية، وكذلك من تأويلات متجددة وطواعية» [2]وعلى هذا الأساس، يصعب تحديد سريع ودقيق كل الدقة لمفهوم الحجاج أو المحاجة؛ ولذلك تضفي تعييناته وسياقاته طابع النسبية

---

[1]الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص: 99.

[2]مقال الحجاج والاستدلال الحجاجي (عناصر استقصاء نظري)، أ.أحمد عراب، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001، المجلد 30، العدد 01، ص: 97- 98.

و لفظة (Argumentation) تحيل في معجم اللغة الفرنسية على عدّة معان أبرزها ما جاء بها في قاموس «روبير الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص: 99. لحجاج والاستدلال الحجاجي، ص: 99(Robert) «[1].

- القيام باستعمال الحجج.

-مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.

- فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة.

- وفي القاموس نفسه يشير الفعل» (Argumenter) إلى الدفاع عن اعتراض أو أطروحة بواسطة حجج أو عرض وجهة نظر معارضة مصحوبة بحجج"[2]

ويبدو جليا أن كلا التحديدين القاموسيين لمفهوم الحجاج لا يختلفان عن بعضهما إلا في الجوهر، لا في الدلالة.

الحجاج عند أرسطو :

تناول أرسطو الحجاج من زاويتين متقابلتين:من زاوية بلاغية ومن زاية جدلية فمن الزاوية البلاغية ربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالاقناع،ومن الزاوية الجدلية اعتبر الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية ،وتنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ضرورية ،وهاتان النظرتان المتقابلتان تتكاملان في تحديد مفهوم الخطاب عند أرسطو

---

[1] **Dictionnaire de la langue Française le grand Robert, Paris, 1989- T1, P :535.**

[2] **المرجع نفسع:ص:535**

.وعليه فإنّ الحجاج عند أرسطو حجاجان :حجاج جدلي :من قبيل ما عرض له في كتاب المواضع ومداره مناقشة نظرية محضة بغرض التأثير العقلي (مجال البحث الفكري –مجال تغيير الاعتقاد)و آخر خطابي فعرض له في كتاب الخطابة وهو حجاج موجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة وليس الهدف منه التأثير العقلي فحسب بل كذلك التأثير العاطفي ولو بالمغالطة والإيهام[1]

2- المعنى الاصطلاحي للحجاج:

عرف الحجاج من زوايا شتّى السمات الموضوعية العامّة، أو البنى اللغوية المميزة، أو الغرض البلاغي والوظيفة الاتصالية ...وتطول قائمة التعريفات فنراها تدنو تارة من جوهر الحجاج، وتنأى عنه قليلا تارة أخرى ومن أهم التعريفات التي يبدو أنّها تقترب عن غيرها من جوهر الحجاج مايلي: - الحجاج عند «أندرسين (Andersen)و"دوفر" (Dover) طريقة لاستخدام التحليل العقلي والدعاوي المنطقية، وغرضها حلّ المنازعات والصراعات واتخاذ قرارات محكمة والتأثير في وجهات النظر والسلوك"[2]

و الحجاج عند «بيريلمان (Perelman) «و «تيتكا (Tyteca) «طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقّين إلى القضايا التي تعرض عليهم أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة[3])

---

[1] **الحجاج في القرآن ،ص: 17.**

[2] **Reading in argumentation- Andersen jerry, M.Dover, Paul J.Allyn and bacon, inc boston, 1968, P: 03. -نقلا عن النص الحجاجي العربي، ص: 43.**

[3] **Traité de l'argumentation, perelman, Ch.Tyteca, olbrechts presses universitaire de Lyon, 1981, P: 92.**

وبناء على عنصر الاستمالة والموالاة التي بنيت عليها تعريفات بيريلمان وتتيكا، يعرف كلّ من «ريك (Rieke) «و «سيلارز (Sillars) «الحجاج بأنّه عملية عرض دعاوى تتضارب فيها الآراء مدعومة بالعلل والدعامات المناسبة بغية الحصول على الموالاة لإحدى تلك الدعاوي[1]

وإلى جانب هذه التعريفات، تبرز تعريفات أخرى كون الحجاج فعلا لغويا أو عملية اتصالية أو جنساً من خطاب تفاعلي مع إبراز أهم مكوناته على نحو ما نجد في تعريف "أوتس ماس" (Ritz mass) و"ديبورا شيفرين" (Deborah Schiffrin)وكل من "هاينمان" (Heinemann) و"فيفيجر"(Viehwerger) فالحجاج عند «ماس» هو سياق من الفعل اللغوي، تعرض فيه فرضيات (أو مقدّمات) وادعاءات مختلف في شأنها، حيث تمثل الفرضيات المقدّمة في الموقف الحجاجي، مشكل الفعل اللغوي.

والحجاج عند كل من «هاينمان» و«فيفيجر» عملية اتصالية هي كل ضرب من ضروب عرض البرهان الذي يعلّل الفرضيات والدوافع والاهتمامات.وتمثل هذه التعريفات نماذج دارت حول عناصر موضوعية، وبنائية ووظيفية، وخلاصة ذلك أنّ الحجاج جنس خاصّ من الخطاب يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلّم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطاً منطقيا، قاصداً إلى إقناع الآخر دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية .

3. الحجاج البلاغي :البلاغة هي الطريقة والوسائل المتبعة في الكلام حتى تنفذ معانيه إلى عقل وقلب السامع وما يقتضيه ذلك من وضوح ومحسنات وإبانة وإظهار

---

[1] **Argumentation and the decision Making process, Reike Richard D-Sillars, malcolm, O-John Wiley and sons Inc USA, 1975, P:6-7**

وإقناع، وهي لذلك يمكن أن تعرف على أنّها «ملكة اكتشاف وسائل الإقناع الممكنة بالرجوع إلى الموضوع أيا كان" [1]

ولأنّ حقول البلاغة متشعّبة ومتنوعة، فقد تباينت منظورات الباحثين في تناولها؛ ومن الذين أسهموا بشكل كبير في الدرس البلاغي، عبد القاهر الجرجاني (ت.471هـ) الذي أولى عناية فائقة للمعاني وكذا لدور التطبيق والاستعارة والقياس فيها ملخصا ذلك في كتابة «أسرار البلاغة» بقوله: «واعلم أن غرضي في الكلام الذي ابتدأته، والأساس الذي وضعته، أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني كيف تختلف وتتفق ومن أين تجتمع وتفترق(...) وأبين أحوالها في كرم منصبها من العقل وتمكنها في نصابه وقرب رحمها منه» [2].واعتمادا على ما ذهب إليه البلاغيون العرب من تعريفات وأبحاث حول البلاغة استنتج «أدونيس» أن «البلاغة تهدف إلى أمرين؛ الوضوح (الارتجال) هذا الاستنتاج يبدو جليا أن البلاغة قد أخذت هنا كمحدد أساس للخطابة، لأن الخطابة تخاطب جمهورا معينا، ومن ثم حاجتها والتأثير (النفع)»[3]

وعلى هذا الأساس، فإنّ الحجاج البلاغي هو حجاج موجه للقلب والعقل معا، إذ يجمع بين المضمون العقلي للحجّة وصورها البيانية، أو بين التبرير العقلي والمحسنات البيانية.

وواضح جدّا أن أساليب الحجاج البلاغية تتميز بمعايير أدبية وجمالية، الأمر الذي جعلها تمتدّ إلى كلّ أنشطة (اللغة والقول وبهذا الصدد يقول «ميشال مايير «

---

[1]النقد الأدبي، وك. مزاتن، ك. بروكسن، ص ج1/103.

[2]أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: هلموت ريتر، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص: 25.

[3]الثابت والمتحول، أدونيس، صدمة الحداثة، دار العودة، بيروت، ط2، 1979، ج3/133

» :(M.Meyer)إنّ كل شيء قد أضحى «تواصلا» من الصداقة إلى الحب، ومن السياسة إلى الاقتصاد، حيث نجد العلاقات تقام وتفسخ بناء على فشل أو نجاح البلاغة»[1].

ومن هذا القول نستخلص أن وراء كل حجاج بلاغة، ووراء كل بلاغة حجاج لأن مدار ذلك هو الإغراء و الاستغواء قصد الإمتاع والإقناع. يقول حبيب أعراب: «إن البلاغة هي قبل كل شيء عتاد بنائي وتبليغي يتوسّله الخطيب أو القائل عموماً، لغرض موضوعه أو رأيه أو قناعته؛ ولأجل كسب تأييد الآخر أو التأثير فيه. إلاّ أنّ الصور البيانية والحيل المجازية واللغوية (فنّ القول) وحدها لا تحقّق التصديق والتدليل ما لم تستند بأدوات ترجيح الرأي وتسويغه عقليا، وهذه الأدوات هي التي يوفرها الحجاج أو المحاجة»[2] ونفهم من هذا، أنّ البلاغة قد تؤثر وتستميل وتمتع ولكنها قد لا تقنع معاً، ما لم تتلاحم مع الحجج والمحاجة وإذا كانت «جاكلين روس « (Jacqueline Russ)تعتقد أن «الصور البلاغية هي عملية أسلوبية تنشط وتفحم المخاطب ، ولها وظيفة إقناعية»[3] فإن الباحث حسب إعراب يرى أن «هذه الصور على الرغم من أهميتها لا تستطيع أن تصمد أمام العقل النفاذ، والشك الوقاد ما لم تكن مدعومة عضويا بالحجج العقلية التي تخضع هي بدورها لمعيار الضعف والقوة"

---

[1]مفتاح العلوم، محمد بن علي السكاكي، ضبطه وشرحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ص: 415- 416.

وهو لهذا يقول: «أن الحجاج البلاغي يبني ويسوغ الرأي الصائب والصادق، أما الأسلوب البلاغي فهو يعرض هذا الحجاج وموضوعه في صور وتقنيات تقتضيها جمالية الإيصال والتلقي»

وإذا كانت البلاغة تمثل إمبراطورية واسعة على حدّ تعبير «ش. بيريلمان» فإنّ الأساليب الحجاجية ماهي إلاّ رافد من روافد هذه الإمبراطورية؛ لذلك لا يجوز إطلاقا اختزال البلاغة سواء كفنّ الكلام والقول أو كمباحث ودراسات في مفهوم الحجاج والمحاجة (البلاغية) نستنتج من هذا الرأي، أنّ هناك صنفا من الحجج خاضعاً في بنائه وترتيبه لقواعد البلاغة والبيان، يتّسم بالسّمات التالية(5). - اندماجه عضويا بالخطابة في شكلها المكتوب والمنطوق. - اشتراطه لرغبتين هما؛ إرادة المتكلم (المؤثر والمقنع) وإرادة المتلق.

أهداف الحجاج في الخطاب البلاغي:

يمكن اختصار هذه الأهداف في العناصر التالية:

1. التأثير في المتلقي (السامع أو القارئ) وجعله يتقاسم مع المخاطر اعتقاده واقتناعه الخاص.
2. التأثير في المتلقي لجعله يقوم بالفعل الذي يطلبه ويريده المخاطب . - استمالة وإغراء المتلقى ذهنياً وعاطفيا (عقلا وقلبا) لتأييده وتوافقه الضمني أو الصريح.

وبناءً على سمات الحجاج وأهدافه؛ فإنّ الحجاج سواء كان استدلالاً أو سجالا في الحقول التواصلية والمعرفية الأخرى؛ مثل: السياسة والقضاء والفلسفة، لن يتخلص كلية من رواسبه البلاغية والخطابية، فالحجاج الذي يتغذّى من معين اللغة الطبيعية وهاجس الإقناع والتأثير سيظل دائما محتفظا بقدر البلاغة والخطابة.

الصورة البلاغية بين التخييل والتداول

تمهيد :

لقد اقترنت البلاغة تاريخيا بالخطاب التداولي الحجاجي تارة، وبالخطاب الأدبي التخييلي تارة أخرى، لكن الدارسين يرون أن اختزال البلاغة في الجانب الجمالي والأسلوبي هو تضييق للبلاغة، وانتهاك لنسقها النظري الذي طالما اقترن بالخطاب التداولي الحجاجي؛ "فالخطابة ما انفكت تتذبذب بين السقوط الذي يتهددها، والصعود الذي يحملها للشمولية التي تطمح إلى أن تتساوى مع الفلسفة"، "فلنبدأ بالنظر في السقوط الذي يتهدّدها، و ان الخطاب قابل للدخل، فالجدل ينزلق إلى السفسطة، وهذا هو المنحدر الأخطر في نظر أفلاطون، إذ يصير فن الإقناع فنا للخداع فيؤدي الاتفاق السبقى بصدد الأفكار المقبولة إلى الأفكار المسبقة المبتذلة، فيؤول فن الإمتاع إلى فن الإغواء، وما هو إلا فرق ".، فالمنعطف الأخطر في حياة الخطابة هو عبث السفسطائيين بها، وتحويلها من وسيلة إقناعية إلى وسيلة لتزييف الحقائق والخداع، بمغالاتهم واعتدادهم بالجانب الشكلي، من تنميق الخطاب، وزخرفته على حساب الوظيفة الإقناعية، وهاذا أخطر مستنقع هدد وجود الخطابة، وسيظل يتهددها.

أما صعود الخطابة فيتجسد في تجاوزها لمختلف المقامات التي ارتبطت بها سابقا (القضائي، الاستشاري، الاحتفالي)، لتشمل كل الخطابات اللصيقة باللغات الطبيعية، إذ "تحددت إمكانية ضم كل ما هو إنساني إلى الحقل الخطابي، لأن اللغة العادية ليست سوى استعمال اللغة الطبيعية في مقامات التخاطب، يخدم الأغراض الخاصة للمتخاطبين، تلك الأهواء التي أفرد لها أرسطو كتابه الثاني من الخطابة، فتكون الخطابة إذن فن الخطاب الإنساني المفرط في إنسانيته.

بعد خطابة أرسطو شهدت إمبراطورية البلاغة عديد الانشقاقات، وأضحى توحيد شقيها (التداولي، التخييلي) تحت إمرتها سبيلا بعيد المنال، فـ "الخطابة تعيش اليوم حالة من التشظي، فقد استقل شاييم بيرلمان (Ch.Perelman)بالخطابة البرهانية القريبة الصلة بالجدل، وضع بها نظرية كاملة في كتابه مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة، وعمد ميشيل مايير (M.Mayer)إلى خطابة النوازع فبنى بها،عليها نظريته في خطابة النوازع،وهي الأسوأ حظا، وعمدت جماعة لييج إلى خطابة النص، و الصياغة اللغوية فصنعت خطابة سمتها البلاغة العامة .ولأهمية العلم العتيق "البلاغة" فقد "حاول بلاغيون غربيون بعد الحرب العالمية الثانية ظهرت أعمالهم خلال الستينات – استثمار الأفق العام الذي تفتحه الريطورية القديمة في الواجهتين في اتجاه الحجاج والجدل ،و في اتجاه الأسلوب والشعر، وذلك قبل أن تظهر صياغات عامة ذات طابع سيميائي في اتجاه الخطاب عامة.

أما صعود الخطابة فيتجسد في تجاوزها لمختلف المقامات التي ارتبطت بها سابقا (القضائي، الاستشاري، الاحتفالي)، لتشمل كل الخطابات اللصيقة باللغات الطبيعية، إذ "تحددت إمكانية ضم كل ما هو إنساني إلى الحقل الخطابي، لأن اللغة العادية ليست سوى استعمال اللغة الطبيعية في مقامات التخاطب، يخدم الأغراض الخاصة للمتخاطبين، يعني تلك الأهواء التي أفرد لها أرسطو كتابه الثاني من الخطابة، فتكون الخطابة إذن فن الخطاب الإنساني المفرط في إنسانيته" بعد خطابة أرسطو شهدت إمبراطورية البلاغة عديد الانشقاقات، وأضحى توحيد شقيها (التداولي، التخييلي) تحت إمرتها سبيلا بعيد المنال، فـ "الخطابة تعيش اليوم حالة من التشغلى، فقد، استقل شانيم بيرلمان (Ch. Perelman)بالخطابة البرهانية القريبة الصلة بالجدل، وضع بها نظرية كاملة في كتابه مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة، وعمد

ميشيل مايير (M.Mayer)إلى خطابة النوازع فبنى بها، وعليها نظريته في خطابة النوازع: وهي الأسوأ حظا، وعمدت جماعة لييج إلى خطابة النص، والصياغة اللغوية فصنعت بها خطابة سمتها البلاغة العامة ولأهمية العلم العتيق "البلاغة" فقد "حاول بلاغيون غربيون بعد الحرب العالمية الثانية ظهرت أعمالهم خلال الستينيات في الغالب - استثمار الأفق العام الذي تفتحه الريطورية القديمة في الواجهتين: في اتجاه الحجاج والجدل، وفي اتجاه الأسلوب والشعر، وذلك قبل أن تظهر صياغات عامة ذات طابع سيميائي في اتجاه الخطاب عامة"[1]

وممّا تقدم يتبين أن "مصطلح البلاغة يعني "العلم الكلي" الذي يدرس الخطاب الإنساني ماعدا البرهاني منها، نقصد الخطاب العلمي الدقيق المعتمد على الرياضيات والمنطق الصوري، والمتسم بالإلزام والضرورة، هذا الخطاب الاحتمالي يتفرع إلى مكونيين أساسيين: الخطاب الشعري التخييلي والخطاب التداولي الحجاجي، وعليه تتفرع البلاغة بهذا المفهوم إلى شقين: الشعرية,

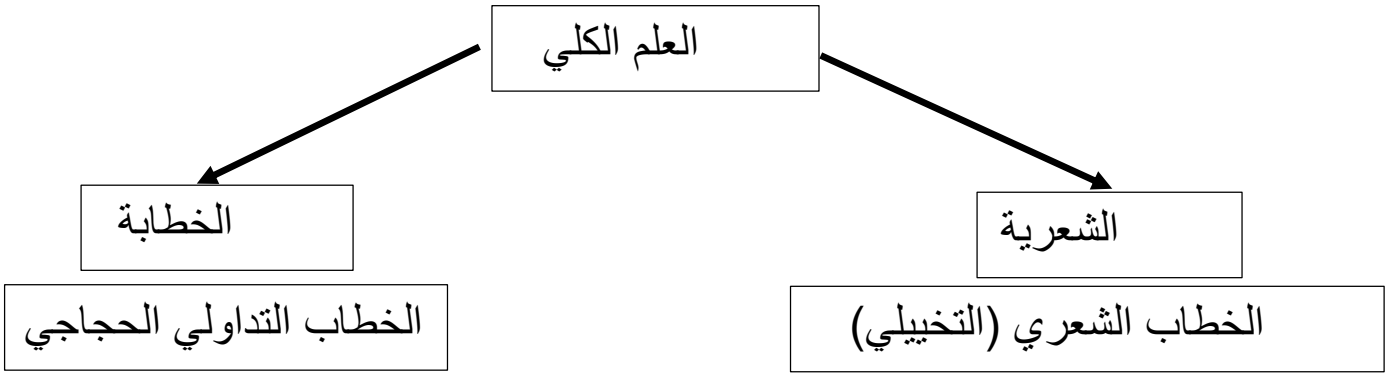

[1] **محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب،2005، ص61،نقلا عن ص:27.**

ومن ثم جاز لنا الحديث عن بلاغة شعرية تخييلية، وعن بلاغة حجاجية خطابية، بكونهما (الشعرية والخطابة) ينتميان إلى علم البلاغة.

الصورة البلاغية والوظيفة الحجاجية:

إنّ الصورة البلاغية ليست صورا فنّية وجمالية وتزيينية وظيفتها الإمتاع فقط كما هو السائد قي البلاغة التقليدية، بل هي من طبيعة حجاجية و إقناعية بامتياز.وفي هذا الاطار يقول بيرلمان:" تعتبر الصورة حجاجية ذات منظر مغاير؛ إذا بدا استعمالها مألوفا بالنسبة لوضعها الجديد المفترض . أمّا إذا لم يهدف الخطاب إلى استجلاب موافقة المستمع لهذه الصيغة الحجاجية ،فإنّ الصورة ستصبح محسنا بديعيا ، لا تعدو أن تغدو مبعث إعجاب أو مصدر استحسان الخطيب "[1]و أكثر من هذا، فقد تصبح الصور البلاغية والمحسنات البديعية من التقنيات الحجاجية التي تستخدم في الخطاب الحجاجي لإقناع الغير أو لاستجلاب موافقته ورضاه.

فالصّورة تقوم مقام الحجّة وتعوّضها تبعًا لحال المخاطب، والتصوير في الخطب الوصفية السياسية ذات الطابع الحماسي أوفر وأبدع منه في الخطابة التعليمية والمناظرات التي تعتمد في الغالب على مجرد توصيل الفكرة في عبارة شفافة مدعومة بحجّة في المناظرات، وبالمثال في الخطابة التعليميـة، وبالمقابلات في الخطب الوعظية[2]

ويحرص كبار الخطباء على تقديم المعاني في صـور مجازيـة وفواصـل متوازنة؛ إذا ما بدا لهم أن بناء الخطبة يقوم على المقابلات كمـا في خطبـة الحجاج وهو يتهدّد أهل العراق: " أيّها النـاس مـن أعيـاه داؤه فعنـدي دواؤه،...، ومن ثقل عليه

---

[1] . 229: Ibid.pنقلا عن : جميل حمداوي ، من الحجاج على البلاغة الجديدة ،ص:31.

[2]ينظر:في بلاغة الخطاب الإقناعي، ط2، ص: 110.

رأسه وضعت عنه ثقله،...، إنّ للشيطان طيفاً وللسلطان سيفا، فمن سقمت سريرته، صحت عقوبته، ومن وضعه ذنبه رفعه صلبه ومن لم تسعه العافية لم تضق عنه الهلكة،...، إن الحزم والعزم سلباني سوطي، وأبدلاني به سيفي"[1].

الصورة الحجاجية:

ليست الصور البلاغية-حسب **شاييم بيرلمان-**صورا فنّية وجمالية وتزيينية وظيفتها الإمتاع فقط،كمايتّضح ذلك جليا في البلاغة التقليدية التعليمية، أو ضمن اهتمامات البلاغة المعيارية، بل هي ذات طبيعة حجاجية و إقناعية بامتياز. ويترتّب على هذا أنّ الاستعارة حجاجية و إقناعية. وأكثر من هذا فقد تصبح الصور البلاغية والمحسنات البديعية من التقنيات الحجاجية التي تستخدم في الخطاب الحجاجي لإقناع الغير ، أو استجلاب موافقته ورضاه والاستعارة التصويرية هي التي تؤسّس بنيات الواقع بامتياز .

وتعدّ الاستعارة أيضا أقوى الأقوال حجاجية من الأقوال العادية ، كما يذهب إلى ذلك ميشيل لوغيرن (Le Guern.M) في مقاله "الاستعارة والحجاج."ومن ثم، فالاستعارة " من الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، بل إنّها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدا، مادمنا نسلم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية ،وتتميّز الاستعارة الحجاجية برغبة المتكلّم في إيصال فكرة ما إلى المستمع تأثيرا أو إقناعا. أما الاستعارة البديعية أو الجمالية، فلا يقصد بها الحجاج أو الإقناع،

[1] **جمهرة خطب العرب، ج292،ص:2.**

ومن هنا،لم تعد الصورة البلاغية مجرد حلية لفظية أوجمالية أو بديعية فحسب، بل أضحت مكونا حجاجيا ذا وظيفة حوارية،وإقناعية، وتأثيرية. وهكذا، رآها أرسطو باعتبارها محسنا بديعيا من جهة، ومقوما حجاجيا من جهة أخرى . في حين، أدرج شايمبيرلمان(Chaïm Perelman) الاستعارة ضمن الحجاج إلى جانب التشبيه والمقارنة، مادامت هذه الصور تهدف إلى استمالة المتلقي تأثيرا وإقناعا.

ولّقد طهّر **شايم بيرلمان** البلاغة من المحسنات البديعية، واحتفظ بجانبها الحجاجي و الإقناعي، مادام يظهر فيها الباث والمتلقي معا .

وبناء على ماسبق، يمكن الحديث عن استعارات علمية من سماتها الإفهام، واستعارات شعرية قائمة على الغموض، واستعارات حجاجية [1].والصورة البلاغية لاتهدف فقط إلى نقل العالم وتمثيله بيانيا، بل تهدف كذلك إلى الإقناع والتأثير، وخلق حوار تفاعلي مع المخاطب المتلقي.

ولا يقتصر الحجاج على الاستعارة فقط، بل قد يتعدّى ذلك إلى الصور والمحسنات البديعية الأخرى، مثل التشبيه، والتمثيل والكناية والمجاز .. إذ تسهم في توضيح الواقع وتأسيسه وتحويله إلى حجج إقناعية أو تأثيرية أو اقتناعية ، باستدعاء السامع المخاطب، سواء أكان حقيقيا أم افتراضيا، من أجل إشراكه في بناء الواقع بشكل إيجابي و مثمر[2].

ومن ثمّ، تعدّ الصور البلاغية والاستعارية أقوى الحجج في الاستمالة والجذب، والحوار، والإقناع، والاقتناع. ولكن ليست كل الصور الاستعارية حججا؛ لأنّها ليست

---

[1] **جميل حمداوي، المقاربة الحجاجية بين التنظير والتطبيق، ص:95**

[2] **نفسه، ص:95**

كلّها في خدمة الدفاع عن الرأي. وتكون الاستعارة حجّة عندما تخدم الإقناع. أي: عندما تستخدم في الدفاع عن أطروحة أو عن رأي ما.

بنية الصور البلاغية

يرى ماير أن الصورة البلاغية تلعب دورا كبيرا في جذب السامع، وتحريك خياله، حتى يستوعب الأفكار والصور المقدمة إليه، ولذلك يولي أهمية كبيرة للصور المجازية في عمليات التخاطب، فعند تعدد الآراء، وكثرة الأطروحات، واتساع الخلافات، تتقارع الحجج والأدلة. وعندها قد يعمد الإنسان إلى استخدام عبارات غير معتادة للتعبير عن رأيه، وفهمه واعتقاده[1]، والإجابة عن التساؤلات والاستشكالات في قالب تعبيري مميز، في شكل صورة مجازية لها وقعها على المتلقي ولها قدرتها على التأثير فيه وجذبه إلى ساحة المتكلم.

والمجاز عند ماير هو «الذي يخلق المعنى، ويصدم كل من لا يشاطر المتكلم وجهة نظره، وهو إلى ذلك طريقة للتعبير عن الأهواء والانفعالات والمشاعر التي هي صور من الإنسان مثلما يكون المجاز صورة عن الأسلوب[2]. فاستخدام المجاز والصور البلاغية يخلط مسارات المعنى، ويبعد الجواب الصريح، مما يستوجب البحث عن إمكانيات أخرى وراء ظاهر السؤال، وبذلك يتسع التأويل، ومن ثم يقوى الحجاج، وتتشعب مساراته.

---

[1] **أمال يوسف المغامسي ،الحجاج في الحديث النبوي ،ص:104.**

[2] نفسه ،الصفحة نفسها .

الحجاج والبلاغة:

إذا كان أرسطو قد نظر إلى البلاغة على أنّها هي نفسها الخطابة بقوله: «الريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة» [1]فإنّنا نجد في التراث العربي فرقا واضحا بين كل من جنس الخطابة والبلاغة، كون البلاغة أشمل وأعم من الخطابة التي هي جنس من أجناس التواصل وفنّ القول.

وإذا كانت الخطابة شديدة الارتباط بالشعر عند العرب، فقد فصل أرسطو بين الخطابة (الريطوريقا) وبين الشعر (البويتيقا) إذ الخطابة عنده **قوّة تتكلف الإقناع الممكن في كلّ واحدة من الأمور المفردة[2]**، وحدد وظيفتها بأنها ليست الاقناع و " ولكن ان تُعرِّف المُقنِعات في كلّ أمر من الأمور "[3] فجعل وظيفة الخطابة الإقناع وليس التأثير ، ومجالها المحتمل والمتوقع وليس الحقيقة [4]وهذا الإقناع يتطلب بالضرورة قواعد ووسائل يمكن اعتبارها منهجية، لأنّها تدخل في صميم بناء الخطابة، وعناصر هذا البناء ثلاثة: **وسائل الإقناع** أو **البراهين** و**الأسلوب** أو **البناء اللغوي** و**ترتيب أجزاء القول**»[5] .

---

[1]النقد الأدبي، و.ك ومزت، ك. بروكس: تر: حسام الخطيب ومحي الدين صبحي، دمشق، 1973، ج1/103.

[2] أرسطو ،الخطابة الترجمة العربية القديمة ،ص:09

[3] نفسه :ص:08

[4] ينظر : الحجاج وقضاياه من خلال مؤلفه روث آموسي ،نقلا عن علي الشبعان ،الحجاج في الخطاب (مقال)،ج2،ص:218.

[5]بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري، ط1، ص: 17.

و ينبغي أن يكون القول فيهنّ على مجـرى الـصناعة ثـلاث؛ (إحداهن): الإخبار من أي شيء تكون التصديقات و(الثانية) ذكـر الـلاتي تستعمل في الألفاظ، و(الثالثة) أن كيف ينبغي أن ننـظم أو ننسق أجـزاء القول»[1]، ثم هناك عنصر الإلقاء الذي أضافه الدارسون المحدثون بعد أرسطو، ومنهم البلاغيون العرب باعتباره عنصرا مستقلا يتضمّن الحركة والصوت.

وإذا كانت هناك علاقة توتر وتنابذ بين الخطابة والفلسفة داخل الفك اليوناني، فعلى العكس من ذلك ما نجده في الثقافة العربية من تكامل وتفاعل بين الأجناس الثلاثة؛ الخطابة والبلاغة والشعر. وعموما، «فالخطابة -عربيا- هي نوع من القول والتخاطـب، أمـا البلاغة فهي بعد أسلوبي في هذا القول؛ لذلك جاز الحديث عن بلاغة الخطابة واستحال العكس.[2]

وعلى اعتبار أنّ مفهوم البلاغة يشير إلى الطريقة والأسلوب فطبيعي ألا ينحصر هذا المفهوم في الخطابة وحدها، بل يتعدّاها إلى أنماط أخرى من القول كالشعر والفلسفة وغيرهما؛ لهذا اشتملت البلاغة على ثلاثة علوم جد بارزة؛ علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع.

فعلم المعاني يستهدف البحث عن كيفية تجنب الأخطاء والاستهجان في تأدية المعنى من خلال كلام معين، ويستهدف علم البيان البحث عن كيفيـة تجنب أوجه الغرابة والتعقيد في الكلام، بينما ينصب علم البديع على تحسـين الكلام.

على مستوى الوظيفة :

---

[1]الخطابة، أرسطو، الترجمة العربية القديمة، تح: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، 1979، ص: 181.

[2]مقال الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص: 108.

نجد في النص الشعري سيطرة الوظيفة الشعرية بينما تهيمن الوظيفة الإقناعية في النص الخطابي؛ «فالشاعر يلجأ إلى تكثيف وسائل التعبير الجمالي بصورة غير مألوفة قصد وضعنا قسرا في موضع الانتباه، أما الخطيب الذي يتغيّا الإقناع فإنّ وسائله التعبيرية مختلفة عن تلك التي يستخدمها الشعر.

وفرّق كذلك أرسطو بين الجدل و والخطابة ،و إن كان قد أرجع كلاهما إلى صناعة واحدة هي صناعة المنطق فقال "إنّ صناعة الخطابة تناسب صناعة الجدل ،وذلك أنّ كليهما يؤّمان غاية واحدة وهي المخاطبة ...وتشتركان بنحو من الأنحاء في موضوع واحد، إذ كان كلاهما يتعاطى النّظر في جميع الأشياء"[1].

العلاقات الخطابية

عمق ماير دراسته للعلاقات التخطابية المتصلة بالحجاج من وسائل الاستمالة الخطابية الثلاث التي حددها أرسطو : الإيتوس (الصفات المتعلقة بالمتكلم)، والباتوس (التأثير في الآخر)، واللوغوس (الخطاب أو اللغة، أو العمليات الاستدلالية العقلانية داخل الخطاب)). وأعاد صياغة العناصر السابقة في ثلاثة أركان أساسية : الأخلاق، السؤال، والجواب. وبذلك ألحق المخاطب بالمتكلم. وفرع اللوغوس إلى عنصرين : السؤال، والجواب[2] ، اللذين يمثلان الاستشكال، وماير بإلحاقه المخاطب بالمتكلم، وتقليصه المسافة بينهما يسعى إلى إعلاء شأن المتكلم، بإحلاله محل العارف المتيقن،

---

[1] ابن رشد،تلخيص الخطابة :ص:1-2.

[2] ينظر : محمد عليا، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ماير (مقال)، نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص 399.

ممّا يكسب الخطاب مصداقية ونجاعة، ويحمل المخاطب على تصديق ما جاء به المتكلم).

ويلح ماير على ما يجب أن يتوافر في المتكلم من طاقة تأثيرية، وثقافة عميقة، ووعي بمستويات مخاطبيه، بحيث يستطيع صياغة التساؤلات الجوهرية الحجاجية التي يستدعيها المقام، ويستطيع كذلك إذكاء روح التفاعل بينه وبين المستمعين[1].

[1] **ينظر : الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 137 - 138.**

البلاغة وضع منطقي

تمهيد :

الملامح المنطقية للنص الحجاجي:

أكّد الدّارسون في الحقل الحجاجي أنّ العلاقة التي تربط بين أجزاء النصّ الحجاجي هي علاقة **«منطقية (Logical)** «أكثر من كونها علاقة **تصوّرية (Perceptual)**، كما هو الحال في النص غير الحجاجي. ويقصد «وليم برانت « (William Brandt)بالعلاقة التصورية تلك العلاقة التي تصدر عن تجربة محدّدة مقيّدة بزمن التصوّر، وبحدث التصوّر والعلاقة المنطقية علاقة **استنباطية (Invented)**غالبا، في مقابل العلاقة التصوّرية المباشرة في النص غير الحجاجي"[1].

و إنّ أوّل من أرسى قواعد **المنطق الصوري** في تحليلاته هو **"أرسطو"** لذا جرت العادة أن يحصر مفهوم الاستدلال في مجال المنطق،و لهذا فالاستدلال عند "أرسطو" هو تفكير عقلي بواسطته يتمّ إنتاج العلم ،ولكن هذا الاستدلال لا ينطلق من الفراغ، بل من معارف سابقة أهمها المبادئ والتعريفات أو حتى المسلمات[2]

وبهذا الصدد أرجع أرسطو العمليتين الأساسيتين في العلوم : الاستقراء والاستنباط إلى الخطوات القياسية التي أنتجت البرهان و أنتجت بطريقة معكوسة الاستقراء[3]؛ومن هنا كان المشتغلون اليونان في الحقل العلمي يتحدّثون عن البرهان لا

---

[1] **The rhetoric of argumentation, Williams Brandt 1 st, Printing, U.S.A, 1970, P: 07 نقلا عن مقال النص الحجاجي العربي، ص: 44.**

[2] **نفسه :ص:126.**

[3] **La raisonnement Robert Blanché.p.137.**

عن القياس،لأنّ البرهان هو قياس الضرورة والاستقراء عكس ذلك.[1] ولكن ما لبث أن تمّ الاعتراف بالقياس خارج الميدان العلمي ،في الاستدلال الجدلي والاستكشافي حيث استعيرت صورة القياس من البرهان لكي تكون أداة استدلال بواسطة عناصر عناصر اللغة الطبيعية،و من ثمّ يصحّ الحديث عن الاستدلال القياسي الذي يعرف عند أرسطو بأنّه قول مؤلف من أقوال إذا سلّم بها لزم عنها بالضرورة قول آخر [2].ذلك أنّ طبيعة البرهنة القياسية تقوم على الكلي ،والكلّي هو نقطة البدء الذي ننتقل منه إلى الجزئي ،وهو ما يعطي لهذه البرهنة القياسية السهولة واليسر والقوّة[3].

بناء على ما تقدّم فإنّ العلاقة جدّ وطيدة بين الاستدلال والقياس والاستقراء ولعلّ هذا ما يؤكده محمد عابد الجابري بقوله" و الفعل العقلي الذي ينتج العلم بالإسناد إلى معارف سابقة هو الاستدلال **(Raisonnement)** على الرغم من أنّ الاستقراء نوع من أنواع الاستدلال فإنّ الاستدلال الأمثل عند أرسطو هو **"السلوجسموس"** أي القياس الجامع "[4].

وكنموذج عن سلوجسموس أرسطي مايلي :

- كلّ البشر فانون .
- كلّ الاغريق بشر .
- إذن كلّ الإغريق فانون.

وجوهر الحجاج عند **«وليم برانت»** يعني إنشاء رابطة مقنعة بين عبارتين ومن ثم يعتمد النصّ الحجاجي اعتماداً كبيراً على بنية أساسية عند عالم المنطق

---

[1] إشكالية التواصل والحجاج ،ص:114.
[2] مقال الحجاج والاستدلال الحجاجي ،ص:126.
[3] إشكالية التواصل والحجاج،ص:114.
[4] محمد عابد الجابري،نقد العقل العربي ،ص:402.

وهي بنية **القياس المنطقي** وفي الحجاج يرى الحكم على نتيجة القياس حكما على الحجج المقدمة -من حيث هي علاقة بين منطوقات تعبر عن قضايا- بأنّها صالحة أو فاسدة، لا حكما عليها بالصواب والخطأ[1]. ويبنى النصّ الحجاجي –في شكله الرئيس- على مكونات ستّة **الدعوى** أو (**النتيجة**)، **المقدّمات** أو **تقرير المعطيات، التبرير، الدعامة، مؤشّر الحال، التحفّظات** أو **الاحتياطات**[2].

فالدعوى مقولة تستهدف استمالة الآخرين وهي تذكر صراحة أو تضمّن، أمّا المقدّمات فهي تقرير يصنعه المجادل عن أشخاص أو أحداث أو أحوال، على أن ترتبط هذه المقدّمات بالدعوى ارتباطا منطقيا ويتبع ذلك التبرير الذي يعدّ بيانا للمبدأ العام الذي يستدلّ به على صلاحية الدعوى. وفقا لعلاقتها بالمقدمات.

و حتّى يجعل المجادل مقّدماته وتبريراته أكثر مصداقية عند المتلقي، لابدّ له من التدعيم الذي يكمن فيما يقدّمه هذا المجادل من شواهد وإحصاءات وأدلة وقيم،...

ويلي الدعامة **مؤشر الحال**؛ وهو كلّ ما يقدّم من تعبيرات تظهر مدى قابلية بعض الدعاوى للتطبيق، على نحو: **من الممكن، من المحتمل، على الأرجح**،...

وأخيراً يأتي الحكم المبني على تلك التحفظات أو تلك الاحتياطات ويمكن تمثيل هذه العناصر على الشكل الآتي:

---

[1] المرجع نفسه ينظر :

-Argumentation, Reik Sillars, P: 77-88. [2]نقلا عن مقال النص الحجاجي العربي، ص: 45.

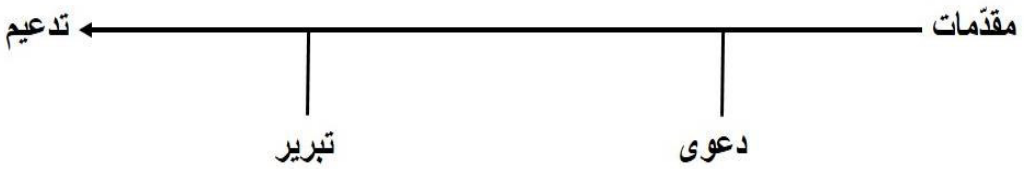

هو الشكل الأشيع للنص الحجاجي العربي، ومن مميّزاتـه أنـّه يتـّسم بالمنطقية التي تعدّ أساس الحركة الحجاجية المتنامية، مترابطة العناصر، تـرتبط الدعوى منطقيا بالمقدّمات، ويحرص الخطيب لجعل خطابه مقنعا ومستميلا على التبرير والتعليل، مستخدماً دعامات لا يخفى ثراؤها"[1]

وهكذا، فإنّ الخطيب لكي يثبت صحة رأيه أو معتقده بإزاء رأي الآخر أو معتقده وسيلته إلى ذلك هي **التدعيم**، والتدعيم كما سبق الذكر -أدلّـة منطقية وشواهد وأمثال تدعّم صحّة الدعوى- وللتدعيم وجوه ثلاثة: **التدعيم بالدليل(Evidence)** ، و **التدعيم بالقيمـة (Value** و **التـدعيم بالمصداقية(Credibility)'**

التدعيم بالدليل:

يذكر «**سيلارز**» و«**ريك**» أنّ موقف الحجاج الأبسط والأشـيـع هـو تقديم إفادة (Statement)تحظى بموالاة المخاطب، وباستطاعة المخاطـب تطوير الحجاج بسؤال أو بدعوى مضادّة، كما في المثال التالي:

---

[1]مقال النص الحجاجي العربي، ص: 51. 2)- مقال النص الحجاجي العربي، ص: 52.

المتكلّـم: لا تخف هنا على سيارتك!

المخاطَب: ولماذا؟

المتكلّم:الجوّ حارّ اليوم !

المخاطب: لكنّه ليس حارا كالأمس

ولكن المتكلّم يطوّر حجاجه بإضافة مادّة مدعّمة لدعواه،على نحو يجعل المستقبل مواليا لتلك الدعوى ،وهو ما يسمّى بالدليل.

التدعيم بالقيمة:

النصّ الحجاجي نصّ تقويمي ، والقيمة مفهوم يستنبط مما يقول النّاس ومما يفعلونه ،ومما تشيّده المجادلات والمناقشات،وكذا القيم وذلك مع الدليل ،وهكذا تتكوّن المادة التفاعلية التي يقدر بها النّاس الحجاج الذي يستحق منهم الموالاة.

ومن منظور كلّ من **" دوبو جراند"** و **" درسلر"**تعتبر القيم من أهم المفاهيم التي يبنى عليها النصّ الحجاجي المتمثلة في العلّة والمعارضة، ومن أجل ذلك تحدّد النظرية الحجاجية المعاصرة للقيمة نمطين اثنين: القيمة الوسيلة ،و القيمة الغاية ،إذ الأولى تضع إفادة عمّا هو ذو قيمة ،والأخرى توجه النّاس إلى الوضع الذي يتغيّاه المتكلّم.

التدعيم بالمصداقية :

المصداقية عامل مهم في الحجاج في ضوء تحديد "ريك" " سيلارز" لأنواع المصداقية (المصداقية المباشرة، والمصداقية الثانوية)،فالنّاس يميلون عادة إلى من يرونهم أهلا للثقة والأمانة والكفاءة.

لقد انطلق بيرلمان، في كتبه التي خصّ بها البلاغة و الحجاج، من أرسطو تمييزا بين الاستدلال الجدلي التحليلي و الاستدلال الحواري. وبالتالي، فلقد ربط بيرلمان الاستدلال الأول بالمنطق. في حين ربط الاستدلال الثاني بالبلاغة. ويعني هذا إذا كان المنطق ذا طابع صوري وشكلي، ينطلق من مسلمات يقينية قصد البرهنة عليها استنباطا ، فإن البلاغة تأخذ بعدا جدليا غير صوري، وغير شكلي، بالانطلاق من مقدّمات افتراضية توهم بالحقيقة، فيبرهن عليها المحاج برهانيا، وحواريا، وجدليا. أي: يثبت بيرلمان أنّ الحجاج ليس استنتاج حقائق يقينية من مقدمات أو مسلمات بديهية منطقيا، بل هو دفع المخاطب إلى الاقتناع بالأطاريح التي تقدّم له حتى يسلّم بها. وبهذا، تفترق البلاغة عن المنطق، أو قد يكتملان معا.

ومن ثم، يدرس بيرلمان أحكام القيمة وفق بلاغة الحجاج. ويعني هذا أن هناك منطقين: منطق الاستدلال القائم على القياس البرهاني استنباطا و استقراء، وهو منطق صوري وشكلي ينطلق من حقائق يقينية صادقة، ويبحث عن تماسك الخطاب واتساقه وانسجامه ذهنيا ومنطقيا، ويسمى بالحجاج المنطقي. وفي المقابل، هناك منطق حواري حجاجي آخر غير شكلي وغير صوري خاص بالقيم، ويسمى بمنطق القيم والأحكام. وبالتالي، فهو منطق المحاورات والمناظرات والمرافعات والخطابات الفكرية الإنسانية.

وعليه، يشتغل الحجاج عند بيرلمان على آليات وتقنيات بلاغية ومنطقية.أي: يوظف مجمل الإستراتيجيات التي يستعملها المتكلّم من أجل إقناع مخاطبه. وفي هذا المجال، لقد ارتبطت البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطا وثيقا ، فاستعملت تقنيات البلاغة

في عملية الإفهام والإقناع. وقد ركز بيرلمان كثيرا على مبدأين رئيسين هما: القصد والمقام.1

وظيفة الاستدلال في اللغة الطبيعية:

من الواضح أنّ بنية الاستدلال التي يستعملها متكلّم اللغة ليست تماما هي بنية القياس الصوري،ذلك أنّ مستعملي اللغة لا يستدلون بالمعنى الشكلي ، بل ستدلون بمقدّمات يختارونها حسب ما تقتضيه مقامات القول او عدم إظهارها اعتمادا على ذكاء المتلقي او لاعتبارات تداولية أخرى . و كيفما كان الخطاب فليس من الضروري معرفة القياس ،من اجل التفكير ،كما أنّه ليس من الضروري معرفة اللسانيات من أجل الكلام[2] .

وخلاصة القول : إنّ القياس الطبيعي أغنى و أكثر إجرائية في اللغة من القياس الصوري البرهاني ، و إنّه لا وجود في الخطاب الطبيعي للاستنباط المنطقي والاستقراء التجريبي بالمعنى الذي تحدّده المعرفة العلمية،ولذلك فإنّ القياس الطبيعي يصبح أكثر ملاءمة للاستدلال اللغوي إذ به يتماسك الخطاب و تتركّب القضايا فيما بينها لتنشئ قطعا خطابية موحدة .إذ به يتماسك الخطاب وتتركّب القضايا بينها لتنشئ في وحدة خطابية .

---

[1] **جميل حمداوي ،االمقاربة الحجاجية بين التنظير والتطبيق، ص:74-75**

[2] **ينظر : إشكالية التواصل والحجاج:120.**

البلاغة وضع أسلوبي

تمهيد :

تعرف الأسلوبية (stylistique) بأنّها دراسة الأسلوب دراسة عملية في مختلف تمثلاته اللسانية والبنيوية والسيميائية والهيرمينيوطيقا، وتعد الأسلوبية أيضا فرعا حديثا من فروع اللسانيات إلى جانب الشعرية والسيميائيات و التداوليات ،وتهتم بوصف الأسلوب بنية ودلالة, و مقصدية . فهي تختلف عن البلاغة الكلاسيكية ذات الطابع المعياري التعليمي ، ومن هنا فإنّ الأسلوبية هي دراسة الأسلوب في مختلف تجلياته الصوتية والمقطعية والدلالية والتركيبية و التداولية ، وكذلك أنّها تهتم باستكشاف خصائص الأسلوب الأدبي وغير الأدبي ، مع جرد مواصفاته المميزة وتحديد مميزاته الفردية واستخلاص مقوّماته الفنّية والجمالية ، وتبيان آثار كل ذلك على المتلقي والقارئ ذهنيا و وجدانيا .

والبلاغة الجديدة انبعثت في ضوء المعايير الأسلوبية والشكلية والاهتمام بأدبية النص الأدبي، ودراسة الوظيفة الشعرية ورصد الصور البلاغية و دراسة نظرية أفعال الكلام .وهذا ما يجعلنا اليوم نتحدّث عن أسلوبية السياق والمقام مع نظرية أفعال الكلام ، وتصوّرات التداوليين، التي أسّست لرؤية جديدة في البلاغة المعاصرة.

الحجاج والأسلوبية:

إنّ الفعالية الحجاجية كفعالية خطابية لا تظهر وتنحسم لغويا إلا بمهارات أسلوبية، وتأثيرات بلاغية فهذه العوامل تخضع للشروط الإبداعية و الإبتكارية كمتطلبات جمالية وألبسة يتلبّسها مسار الحجاج وعلاقاته الداخلية"[1]

[1] **مقال الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص: 106.**

ولا يخفى على أي باحث أن قيمة هذه العوامل تتفاوت من نص حجاجي إلى آخر، فالأساليب ومهارات البيان والتبيين تقوي الحجج وتزيد من فعاليتها؛ أي أنها تعمل لصالح التأثير والإقناع، لذلك يمكن النظر إليها كظواهر أدبية وخطابية قائمة الذات؛ كما يمكن النظر إليها في علاقاتها بأدوارها الحجاجية وقيمتها الإقناعية.

وعليه، فإذا كان الحجاج قد بقي جذوره مع التداولية واللسانيات، فإنه لم يهمل عند البلاغيين والأسلوبيين الذين اهتموا بتحديد وتصنيف أنواع الحجج والأساليب الحجاجية خاصة في مجال الخطابة. ولأن أنواع الحجج والأساليب عديدة، ولا يمكن حصرها نهائيا؛ فقد حاول كل من «ج. ج. روبريو (J.J.Reberieu) «في كتابه «عناصر الخطابة والحجاج» و«ج.روس (J.Russ) «بكتابها «المناهج الفلسفية» حاولا أن يحددا هما أيضا أنماط الخطاب الحجاجي.

وبالإجمال، فإن اللغة باعتبارها نسقاً دلاليا لفظيا استراتيجيا في التواصل الإنساني، تتفوق عن باقي الأنساق الدلالية الأخرى؛ لكونها على حد تعبير «ر. بارث» تمدنا بالمعنى، بل هي نموذج المعنى في حد ذاته ، ثم إن اللغة اللفظية بطبيعتها تؤثر ووجدت لتؤثر. فخاصية المعنى وخاصة التأثير في اللغة الطبيعية تفسران لماذا لا يخلو كلامنا من حالات الاستدلال والمحاجة، ولماذا لا تخلو أساليب التعبير والقول من أفعال استدلالية وأدوات لغوية نحوية-لسانية،تمفصل أجزاء الجمل

وتجمعات الجمل، وتستسيغها العقول والمعايير المتعارف عليها لدى جماعة بشرية معينة"[1]

وإذا كان التعبير عماده الجمل، وهي بدورها عمادها المعنى؛ فإن اختيار مناسبات وكيفيات استعماله أمور تبقى من اختصاص المتكلم ونوعية أسلوبه. ومن وجهة نظر «دمشقية عفيف» تنطلق الأسلوبية اللغوية من الأسلوب باعتباره «قائما على استخدام الموارد الإبلاغية للغة، لصياغة الفكرة بأقصى ما يمكن من الفعالية"[2]

ونظرا لذلك التداخل الحاصل بين القول الشفاهي والقول (المكتوب)، وبإحالة أحدهما على الآخر، فإنه لا يمكن إهمال تلك الظواهر الأسلوبية التي تتدخل سواء في إيصال المحتويات والدلالات أو في تحقيق التأثير، لأن هذه الظواهر تتعلق بكيفية انتقاء عناصر العبارة، وتناغم الأصوات اللغوية، وإيقاع العبارة ونبراتها، والاستعارة والاشتقاقات، وباقي الطاقات الإبلاغية والتعبيرية التي تلعب أدواراً متناقضة بالنسبة لوضع الحجج، داخل تناصية معينة"[3]

ولكن هذه الأساليب والتعبيرات لا يمكنها أن تؤثر أو تقنع من دون مضمون، أي من دون التنسيق ما بين المعاني والأفكار، ومن دون العلاقة الحجاجية القائمة على تلك القسمة العادلة بين الناس والمتمثلة في العقل.

---

[1] مقال الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص: 106.
[2] الإبلاغية فرع من فروع الألسنية، ص: 25.
[3] مقال الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص: 107.

البلاغة وضع سيميائي

الاتجـاه السيميائي (البلاغة في خدمة السيمياء)

-وظيفة الآليات السيميائية في الإقناع:

1 تعريف السيمياء:

هي العلم الذي يدرس حياة العلامات أيا كان مصدرها في إطار الحياة الإنسانية، ولقد جعل «دي سوسير» هذا العلم مقتصراً على دراسة العلامات في دلالاتها الاجتماعية ممّا يفهم به البشر بعضهم بعضاً، باعتبار اللغة نظاما من العلامات[1].

وجدير بالذّكر أنّ مصطلح (La sémiologie) تداخل مـع مـصطلح (La sémiotique) في المعنى ،فـالأوروبيون يستعملون مصطلح «السيميولوجيا» بينما يستعمل الأمريكيون مصطلح «السيميوتيكا» أمّـا العرب فيصطلحون على هذا العلم «بالـسـيمياء» و«السيميائية» و«علـم العلامات» ويقصدون بذلك علامة، أو ملمحاً؛ ولهذا وجدت علامية الأدب، وهي تسعى إلى تأسيس نظرية في كيفيات الخطاب باعتباره حدثا علاميا أي سيميائيا، يتألف من نظام من العلامات الجمالية وكذا الإقناعية[2] . يستخلص من هذا أن «علم العلامات» علم عام وليس خاصاً، فهو عام لأنه يشمل جميع أنظمة التواصل على اختلاف حقولها المعرفيـة مـن طـب ورياضيات،

---

[1]بشير إبرير السيمائية وتبليغ النص الأدبي، أعمال ملتقى معهد العربية وآدابها، جامعة عنابة، 12/17ماي 1995، ص:09.

[2]المرجع نفسه، ص10:

وفيزياء، وأدب وما إلى ذلك، وهذا ما ذهب إليه العالم الأمريكي «بيرس « (C.Peirce) (1914-1839).

-الخطاب الإقناعي وعلاقته بالدرس السيميائي :

لقد استفادت البلاغة الجديدة من السيميائيات تنظيرا وتطبيقا، وهذا ما تعكسه بعض الآليات السيميائية من دور في إقناع المخاطب؛ لأنّ أهم ما يهدف إليه «علم العلامات» هو دراسة وسائل التبليغ وإثرائها وتحقيقها، ومنح إمكانية فهم البيئة والمحيط بصورة دقيقة وجيدة من خلال نشاط وسلوك الإنسان. ولا أحد يختلف مع الآخر في أنّ لكلّ مجتمع خصوصيات في وسائل تعبيره، وأدوات يتواصل بها، وتوحي له بما لا يختلف فيه، فالتراث له منطوق وصامت، ولكل منهما دوره ووظيفته ودلالته؛ لهذا لا يمكن الاهتمام بالمنطوق والعزوف عن غيره ؛لأّن كل خطاب أو نص أدبي تصاحبه -لا محالة- وسائل تبليغية بالإضافة إلى اللغة المستعملة لإلقائه أو كتابته

-الأدوات والوسائل الخطابية الإشارية:

أ- العلامة:

تتكوّن العلامة من صورة حسية يتمّ إدراكها بواسطة حاسّة من الحواس الخمسة: السمع أو البصر أو اللمس أو الشم أو الذوق؛ على أن هذه الصورة الحسّية تتأسّس على ما تواضع عليه متخاطبان اثنان أو جماعة من المتخاطبين [1]. وبارتباط الشّكل الحسّي مع ما يتواضع عليه المتخاطبون لتفصح العلامة عن مكنونها[2]، وتبوح بمعانيها

---

[1] بشير إبرير اللسانيات وأسسها المعرفية، د.عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص: 32-33.

[2]مقال: العلامة في التراث، أحمد حساني، مجلة تجليات الحداثة، العدد 02، 1993، اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، ص:27.

ودلالاتها، ويتحقّق الاتفاق على الوضع مع كلّ قناة يمكن استعمالها في إيجاد لغة ما [1].

وتأسيساً على ما سبق ذكره؛ تعدّ العلامة معطى نفسياً واجتماعياً وثقافيا وحضاريا، أصله الوضع والعرف والاصطلاح، ومن خلالها يمكننا فهم العلاقة بين سعة أي نظام تبليغي وطبيعة مكوناته الدلالية، فهناك تناسب طردي بين اعتباطية أي نظام علامي وسعة إبلاغه، الأمر الذي يفضي بنا إلى القول بأن مقبولية العلاقة بين الدال والمدلول لكل نظام تواصلي على أساس الاقتران الطبيعي أو الاقتران المنطقي تتناسب عكسيا طاقة ذلك مع النظام المعتمد في الإبلاغ[2])

و يستنتج من هذا أنّ المكوّن الاعتباطي الذي تشمله العلامة في كلّ عملية تبليغية هو الذي يكشف لنا عن سعة القدرة على التبليغ، وعلى هذا الاعتبار فإنّ المتلقي للخطاب لابدّ أن يكون على معرفة بنظام رسالة الخطاب لكي يتمكّن من فهمها وتحليلها وبالتالي معرفة مختلف وظائفها وأغراضها.

ب- الإشارة:

الإشارة هي نتاج عمل إنساني يهدف إلى غاية معيّنة وموجّهة، الغرض منها إقرار واقع خارجي وإبلاغه للآخرين [3]وهي وسيلة لنقل المعنى من ميدان التخاطب باللغة إلى ميدان التخاطب بالإشارة أو الإيماء ،أي التخاطب بالصمت ، ويمكن أن تترجم الإيماءات وحركة اليد فكرة أو كلمة أو مفهوما أو حالة نفسية أو روحية مرة أو تترجم مجموعة معقدة من الأفكار مرّة أخرى[4].

---

[1] السيميائية وتبليغ النص الأدبي، ص: 12.
[2]المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3]تأملات في اللغو واللغة، د.عبد العزيز الحبابي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس،1980، ص:65.:
[4]مقال :السيميائية والنص الأدبي ،ص:19.

وكثير ما يعبّر الانسان بعينه عن كثير من المعاني ؛و من أجل ذلك شكّلت لغة العيون معينا ثريا للأدباء والفنّانين عبر العصور كمثل قول عمر ابن ربيعة :

أشَارَت بطَرْف العينِ خيفـَة أهلهـَا... إشـَارَة مذعُورٍ وَ لَـم تتكَـلَّـمِ
فأيقنتُ أنَّ الطّرْفَ قد قـالَ مرحبـًا....وأهـلاً وسهـلاً بالحبيـبِ المتيـّمِ

يعتبر رولان بارت R.Barthes خير من يمثل هذا الاتجاه ، لأنّ البحث السيميولوجي لديه هو دراسة الأنظمة الدالة، فجميع الأنساق والوقائع تدلّ، فهناك من يدلّ بواسطة اللغة، وهناك من يدل بدون اللغة السننية، بيد أنّ لها لغة دلالية خاصّة بها. ومادامت الأنساق والوقائع كلها دالة، فلا عيب من تطبيق المقاييس اللسانية والبلاغية على الوقائع غير اللفظية. أي: أنظمة السيميوطيقا غير اللسانية لبناء الطرح الدلالي. ومن هنا، فقد انتقد بارت في كتابه (عناصر السيميولوجيا) الأطروحة السوسيرية التي تدعو إلى إدماج اللسانيات في قلب السيميولوجيا ، مبينا أن اللسانيات ليست فرعا ولو كان مميزا، من علم الدلائل(السيميولوجيا)، بل السيميولوجيا هي التي تشكّل فرعا من اللسانيات [1]

ومن هنا، فقد تجاوز رولان بارت تصور الوظيفيين الذين ربطوا بين العلامات والمقصدية، وأكّد وجود أنساق غير لفظية، حيث التواصل غير إرادي، ولكن البعد الدلالي موجود بدرجة كبيرة. وتعتبر اللغة الوسيلة الوحيدة التي تجعل هذه الأنساق والأشياء غير اللفظية دالة، حيث إنّ كل المجالات المعرفية ذات العمق السوسيولوجي

[1]عواد علي: معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط:1، (1904 م ، ص96.

الحقيقي تفرض علينا مواجهة اللغة ، ذلك أنّ الأشياء تحمل دلالات . غير أنّه ما كان لها أن تكون أنساقا سيميولوجية أو أنساقا دالة لولا تدخل اللغة، ولولا امتزاجها باللغة، فهي، إذا، تكتسب صفة النسق السيميولوجي من اللغة. وهذا ما دفع بارت إلى أن يرى أنّه من الصعب جدا تصوّر إمكان وجود مدلولات نسق صور أو أشياء خارج اللغة؛ بحيث إنّ إدراك ماتدلّ عليه مادة ما يعني اللجوء، قدريا، إلى تقطيع اللغة؛ فلا وجود لمعنى إلا لما هو مسمى ، وعالم المدلولات ليس سوى عالم اللغة . »[1] أما عناصر سيمياء الدلالة لدى بارت، فقد حصرها في كتابه(عناصر السيميولوجيا) في الثنائيات البنيوية التالية: ثنائية الدال والمدلول، وثنائية التعيين والتضمين، وثنائية اللسان والكلام، وثنائية المحور الاستبدالي والمحور التركيبي. وقد حاول بارت بواسطة هذه الثنائيات اللسانية مقاربة الظواهر السيميولوجية، كأنظمة الموضة، والأساطير، والطبخ، والأزياء، والصور، والإشهار، والنصوص الأدبية، والعمارة، إلخ. وأخيرا، يمكن للمقاربة النصّية والخطابية في بعدها السيميوطيقي أن تستعين بثنائيات بارت اللسانية والبلاغية، بغية البحث عن الأنساق اللفظية وغير اللفظية في الأنشطة البشرية والنصوص الإبداعية الأدبية والفنية.

بلاغة الصورة الإشهارية :

يعدّ رولان بارت من الدارسين الغربيين الأوائل الذين سارعوا إلى تطبيق البلاغة، وخاصة ثنائية التقرير والإيحاء، على الأنظمة السيميولوجية غير اللفظية، مثل: الموضة ، والطبخ، والإشهار، والأزياء، والصور، والموضة... بل يعد من أهم الدارسين للصورة الإشهارية في الغرب على المستوى السيميائي والبلاغي، سيما في

[1] **حنون مبارك: دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، ط1، 1987 ، ص: 74.**

دراسته **(بلاغة الصورة الإشهارية).** وقد ارتأى أن دراسة الصورة تستوجب التركيز على دراسة الرسالة اللغوية، والصورة التقريرية، وبلاغة الصورة. وقد خصص الإشهار بدراسات قيّمة كما في كتابه (عناصر السيميولوجيا) ، وكتاب (المغامرة السيميولوجية)[1].

ومن المعلوم أن الصورة الإشهارية خطاب **استهوائي** و**إيحائي** و**إقناعي**، يتألّف من ثلاثة خطابات أساسية: **الخطاب اللغوي اللساني، والخطاب البصري الأيقوني، والخطاب الموسيقي الإيقاعي**. ويتضمّن أيضا ثنائية : الدال والمدلول ، ويتكوّن كذلك من ثلاثة عناصر تواصلية: العنصر الأول هو المرسل (الدولة، والأفراد المنتجون، والشركات والمقاولات الإنتاجية، والمؤسسات المروجة اقتصاديا وخدماتيا...)، والعنصر الثاني هو الرسالة الإشهارية التي تتكوّن من الدال والمدلول، والعنصر الثالث هو المتلقي أو الجمهور علاوة على ذلك، تتضمن الرسالة الإشهارية ثنائية التعيين والتضمين، أو ثنائية التقرير والإيحاء. أي: إن هناك رسالتين متداخلتين ومتقاطعتين: رسالة تقريرية حرفية إخبارية في مقابل رسالة تضمينية وإيحائية.

ويعني هذا أنّ هناك رسالة مدركة سطحيا ورسالة مقصدية مبطنة. وإذا أخذنا على سبيل المثال: «جبنة البقرة الضاحكة(La vache qui rit) »، فإنها تحتوي على مدلولين أو رسالتين : الرسالة الأولى سطحية إخبارية تقريرية تعتمد على الاستعارة والتشخيص البلاغي ، تبين لنا بأن الجبنة الحيوانية أساس تغذية صحية متكاملة . بيد أن الرسالة الثانية تحمل مدلولا ثاويا وعميقا تؤشّر على مقصدية إيحائية تتمثل في

---

[1]رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة ، ترجمة: محمد البكري، عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، ط:1، 1986.

جودة المنتوج المعلن عنه، وأنه من الأفضل شراؤه ، واقتناؤه ، واستهلاكه، أي: تقول لنا الرسالة الإشهارية الإيحائية: « أيّها المستهلكون جميعا: اشتروا البضاعة، فإنها رائعة وجيدة» .

هذا ، وإذا كانت رسالة الإشهار الأولى صريحة، فإنّ رسالته الثانية إيحائية. ومن ثم، تتّسم الصورة الإشهارية بعدّة سمات ومكوّنات كالنفعية، والمجانية، والحدّة الإلزامية، والتأرجح بين التصريح والإيحاء، وتشغيل بلاغة اللسان والصورة، والتركيز على المقصدية والاقناع.

فالصورة الاشهارية تحمل نوايا المرسل ، وتقدّم رؤية للعالم وتعمل جاهدة للتأثير على المتلقي و إقناعه و استهوائه.،والناقد **" جان ماري "**الذي يعتبر من أهم الدارسين الذين حاولوا الربط بين السيميولوجيا والبلاغة والسيميوطيقا البصرية والبلاغة المرئية (وهي سيميائيات تهتم بدلالة الصورة) أكدّ بأنّه إذا كانت السيميولوجيا تهتم بالجانب المعرفي الثابت من اللغة ،فإنّ البلاغة تهتم بالجانب الإنجازي والأدائي من الكلام بمعنى أنّ البلاغة ذات طابع أدائي تداولي وسياقي.

وهناك عالم آخر طرح البعد التداولي وهو **شارل موريس** حينما حصر المنهجية السيميوطيقية في مستويات ثلاث:المستوى التركيبي، المستوى الدلالي ،المستوى التداولي، بمعنى أنّ العلامات السيميائية لا تتخذ بعدها الدلالي إلا في انتظامها داخل بنيات تركيبية ودلالية وسياقية،ويعني هذا أنّ السيميوطيقا مرتبطة باللغة في حين ترتبط البلاغة بالكلام والبعد الإنجازي التداولي البراجماتي **(أفعال الكلام والإنجاز والأداء)** .

البلاغة في السياق العربي

الحِجاج عند العرب:

الحجاج عند العرب هو الحجاج والاحتجاج والجدل والمجادلة، يضرب الحجاج بجذور قوّية في الخطاب العربي، فضلا عن ذلك الدور الذي لعبه في الحياة العقدية(علم الكلام) والسياسية في البيئة العربية الإسلامية- وفضلا كذلك عن اعتماد البنية الحجاجية في الخطاب العلمي البلاغي التي تجلت في دفاع عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) عن إعجاز القرآن وذلك بإقناع الناس بفكرة النّظم.

ولقد شغل الحجاج بعض القدماء باعتباره جنسا خاصا من الخطاب، ومن بين هؤلاء أبو الحسن إسحاق بن وهب (ت 337هـــــ) وحازم القرطاجني (ت 684هـ) اللذان تعرضا للحجاج بالدراسة والتحليل.

وممّا ذكره ابن وهب في مبحث **«الجدل والمجادلة»** يمكن استخلاص النقاط الرئيسة التالية:

1- «وأما الجدل والمجادلة، فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصومات، والتنصل في الاعتذارات.[1].

-2والجدل كما يفهم من كلام ابن وهب خطاب تعليلي إقناعي، فالجدل إنما يقع في العلة من بين سائر الأشياء المسؤول عنها[2]، لذا يرى ابن وهب أنّه ينبغي

---

[1]البرهان في وجوه البيان، بن وهب تح: أحمد مطلوب، ود.خديجة الحديثي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، 1378هـ-1967م، ص: 222.

[2]ابن وهب ،البرهان في وجوه البيان، ص: 228-225.

للمجيب إن سئل أن يقنع، وأن يكون إقناعـه الإقنـاع الذي يوجب على السائل القبول. وإذا كان الفلج في الجدل إظهار الحجة التي تقنع، فالغالب الذي يذكر ذلك[1])

-3إذا كانت مقامات الجدل مقامات اختلافات وخصومات فإن الاعتبـار الأخلاقي من أوجب ما توجبه تلك المقامات، ولهذا يفهم من كلام ابن وهب أنّ الجدل المحمود ما قصد به الحقّ واستعمل فيه الصدق،والجدل المذموم ما أريد به المماراة والغلبة،وطلب به الرياء والسمعة[2]

و أمّا **حازم القرطاجني (ت 684هـ)** فإنّ أهم ما يستخلص من نظريتـه العامة **«التخيل والإقناع»** الأمران التاليان: 1- أنه ميّز بين جهتين للكلام. 2- أنّه ميّز بين طريقتين لإقناع الخصم. ففي تمييزه الأول يقول حازم القرطاجي: « الكـلام يحتمـل الصدق والكذب إما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإمّا أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال[3]«

ولعل حازم في تمييزه بين الإخبـار والاقتـصاص وبين الاحتجـاج والاستدلال يريد أن يميّز بين نوعين من النصوص- النـصوص السردية والنصوص الحجاجية على الترتيب.

وإذا كانت التمويهات و الاستدراجات من الاستراتيجيات الحجاجيـة المهمّة، فإنّ أوّل من تفطن إلى هذا الاستدراج هو ابن الأثـير الـذي سـبق القرطاجني إلى استخراج هذه الاستراتيجية من النص القرآني، ولذا فالاس استدراج عند ابن الأثير

---

[1]المرجع نفسه، ص: 242-243.
[2] ابن وهب ،البرهان في وجوه البيان،ص:222.
[3]منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بـن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966، ص: 63.

(ت 637هـ) هو من «مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال»[1] بمعنى «استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم»[2].

و أما **حازم القرطاجني**، فقد ربط التمويهات والاستدراجات بالطبع والحنكة معا، وهو لذا يقول: «التمويهات والاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقوية الظنون في شيء ما أنّه على غير ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك، والتدرّب في احتذائها[3]«

وإضافة إلى هذا الربط فقد ميّز القرطاجني بين التمويهات والاستدراجات قائلا: التمويهات تكون فيما يرجع إلى الأقوال والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلّم بهيئة من يقبل قوله، أو باستمالته المخاطب واستلطافه له بتزكيته وتقريظه أو بإطبائه إيّاه لنفسه، وإحراجه على خصمه، حتى يصير بذلك كلامه مقبولا عند الحكم، وكلام خصمه غير مقبول[4]«

ومن طرق تحقيق التمويهات التي ذكرها لقرطاجني :[5]

أ- طي محلّ الكذب من القياس عن السامع.

ب – اغتراره له ببناء القياس على مقدّمات توهم أنّها صادقة لاشتباهها بما يكون صادقا.

---

[1]المثل السائر ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، دار النهضة، مصر للطباع والنشر، ط2، 1973، ج2/250.
المرجع نفسه، ج2/250.
[2]منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 64.
[3]المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[4]المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ج- ترتيب القياس على وضع يوهم أنّه صحيح لاشتباهه بالصحيح.

د- إلهاء السامع عن تفقد موضع الكذب بضروب من الإيداعات والتعجيبات تشغل النفس عن ملاحظة محل الكذب والخلل الواقع في القياس .

الحجاج عند العرب قديما في رأي النقّاد:

تباينت وجهات النظر حول اهتمام البلاغة العربية القديمة بالحجاج، بين من يرى أن الحجاج كان جزءا أصيلا من البلاغة العربية القديمة، وأنه نال عناية كفاية من الدرس والممارسة. ومن يرى أن التنظير للحجاج يكاد أن يكون مفقودا فيها، وأن الإشارات المتناثرة الموجودة لا تنهض إلى مستوى القول بوجود نظرية حجاج في البلاغة العربية.

أ/ القائلون بافتقاد البلاغة العربية لنظرية حجاجية الأستاذ حمادي صمود[1]على سبيل المثال – أحد المعاصرين المهتمين بالحجاج - الذي يرى أن البلاغة العربية اهتمت بجانب العبارة من بلاغة أرسطو وتركت جانب الحجاج والاستدلال، وعلى الرغم من أنه نبّه في البداية إلى اختلاف الحقل المعنوي لمصطلح (الريطوريقا) عن مصطلح البلاغة في السنن العربية [2]، واختلاف ظروف نشأة البلاغة العربية اختلافا بينا عن الخطابة الأرسطية، وكيف أنّ البلاغة الأرسطية نشأت نشأة فلسفية منطقية، وكانت تصنف الأقاويل بحسب قدرتها على قول الحقيقة، وإنتاج المعنى الفرد الذي لا يمكن

---

[1] ينظر :حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح» (مقال)، ضمن : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم, ص 11 - 48.نقلا عن أمال يوسف المغامسي ،الحجاج في الحديث النبوي ،ص:54.

[2] نفسه ،ص:55

أن يقوم ما يناقضه، وبناء القضايا التي تترتب فيها النتائج على المقدمات بصفة محكمة، في ظل ظروف سياسية ومؤسساتية خاصة.

وأنّ البلاغة العربية نشأت نشأة مختلفة دفعت الدارس إلى الاهتمام بصورة الخطاب وشكله، وما يتوفر فيه من طرق القول وأساليب التعبير، وليس بما يمكن أن يعرضه من الأقضية، ويبنيه من الحجج، ويعبر عنه من الحقائق أو شبه الحقائق [1]، إلاّ أنّه مع إقراره بهذه الحقيقة الكفيلة ببيان فرق ما بين البلاغتين يتساءل بنوع من الأسف عن السبب الذي جعل البلاغيين العرب – بحسب رأيه – يقتصرون في دراسة القول على جانب وحيد هو جانب العبارة من خطابة أرسطو، ويهملون الجانب المتعلق ببناء الحجج وترتيبها[2]، وأنه مع وعي طائفة من البلاغيين والأدباء والنقاد العرب بأهمية الحجاج، وقوة عارضتهم في تصريف الكلام وانتباههم إلى العلاقة بين صناعة الخطابة وصناعة المنطق، مثل : الجاحظ، وعبد القاهر الجرجاني، وأبي وليد الباجي إلا أنهم تمسكوا بالمقاييس المتعلقة ببلاغة النص من جهة مافيه من حلية وزينة وشكل قار، ليس في إمكانه إنشاء معنى لم يكن .

وطرح الأستاذ صمود عوامل قد تكون هي السبب – بحسب رأيه – في عدم وجود نظرية حجاجية عند البلاغيين العرب قديما، منها :

---

[1] نفسه ،ص:55

2 حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح» (مقال)، ضمن : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم, ص 23 - 25نقلا عن أمال يوسف المغامسي ،الحجاج في الحديث النبوي ،ص:55.

1) أن البلاغة العربية نشأت في أحضان الشعر، الذي كان يهتم – كما يرى – بهيئة القول، وليس ببنائه الداخلي، وكان تفوق شاعر على شاعر إنما يكون بما يقع له من نهج في تصوير المعاني وإخراجها مخرجا شكليا خلابا.

2) و أنّ الأدب العربي كان أدبا شفويا لا يؤدي وظائفه ببنية معانيه وقوة حججه، وإنما يعتمد على وقع الشكل على السمع

3) ومن الأسباب التي طرحها أن القرآن الكريم قطع السبيل على الحجج العقلية ليصبح هو الحجة النقلية القاطعة لكل الحجج، وبدأ يبني الإجماع والائتلاف، ويقصي الاختلاف (الذي هو أصل وجود الحجاج في الخطابة الأرسطية)، وأصبح القرآن الكريم محور الثقافة وعمدتها في الدين والدنيا، وبدأ الإجماع يحاصر الاختلاف وينهيه من أجل صنع دائرة إيمانية مغلقة تقوم منظوماتها العقدية والسلوكية على الكمال أو شبه الكمال حتى تكون نموذجا وأصلا يقاس عليه، وما سواه بدعة وضلالة.

فدخلت الثقافة العربية بذلك في طقوس النماذج والمثل ،وأن ما حدث من خلافات سياسية أو مذهبية أولت فيها النصوص القرآنية بما يخدم كل طرف، حسمت بحد السيف والسلطة، وليس بقوة القول والحجة [1]، وبذلك دخلت الثقافة العربية شروط الرأي الواحد السائد عن رضى أو بحد السيف، فانكمش القول، وذهب ما كان فيه من سعي إلى الرأي والحجة، وأصبحت البلاغة صنعة للزينة والتباهي، وشكلا مفرغا من كل حركة محفزة. وإضافة إلى ذلك اختلاف سياق القضاء الإسلامي عن القضاء اليوناني وبنية المحاكم في أثينا، التي كانت سببا في نشأة أحد أجناس الخطابة عند أرسطو وهو الجنس المشاجري. أما مؤسسة السلطة السياسية العربية فكانت أيضا

---

1 نفسه نقلا عن أمال يوسف المغامسي ،الحجاج في الحديث النبوي ،ص:56.

مختلفة عنها عند اليونان، فلئن كانت في أثينا سببا في وجود الجنس المشاوري، فإن فرصة الخلاف على الحكم عند العرب حسمت بحد السيف.

ويذهب د. علي سليمان في كتابه (كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج «رسائله نموذجا») هذا المذهب، فيقول إن المفسرين والنقاد والبلاغيين العرب التفتوا إلى الحجاج وبحثوه على استحياء في أبواب عدة، وتحت مسميات مختلفة كالحجاج، والاستدلال، والاستدراج، والجدل، والقياس وغيره، لكن هذا البحث كان «في ظل نظرية الفهم والإفهام التي أولع بها الدارسون آنذاك، غافلين أو متغافلين عن استراتيجيات الفهم والإفهام وتقنياته، لهذا انصبت جهود البيانيين وغيرهم آنذاك على وجوه البيان بوصفها سرا من أسرار جمال الخطاب، لا بوصفها وسائل تأثير في المتلقي وإقناعه[1].

ب/ القائلون بأصالة الحجاج درسا وممارسة في البلاغة العربية

على الطرف الآخر من الفريق الأوّل هناك من يرى أنّ الحجاج كان مبحثا معتبرا في البلاغة العربية القديمة (دراسة وممارسة)، بل إن البلاغة عند البلاغيين العرب هي الإقناع، والحجاج كان له «حضوره في البلاغة العربية التي شكل البرهان والإقناع أحد أهم مباحثها، ويمكن القول إن البلاغة العربية ظل يتجاذبها جانبان أساسيان : جانب التواصل والإبلاغ، وجانب الفن والجمال، الدلالة والإبلاغ بما يعنيانه من دقة ومباشرة ووضوح وإقناع، والفن والجمال بما يفرضانه من غموض وتخييل

[11]ينظر:علي محمد سليمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج:15.

وإمتاع»[1]. وأنّ هناك الكثير من المظاهر والأبعاد الحجاجية في البلاغة العربية، منها :

1-مفهوم البلاغة عند القدامى و حمولته الحجاجية والتداولية

فابن المقفع على سبيل المثال عندما سئل : ما البلاغة ؟ أجاب بقوله : «البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها مايكون في الاستماع، ومنها مايكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل»[2]، فجمع بتعريفه هذا البلاغة اللفظية (اللغوية)، وغير اللفظية (غير اللغوية)، وجعل الاحتجاج وجها من وجوه البلاغة. والجاحظ في البيان والتبيين عرف البيان (المرادف للبلاغة عنده) بأنه «اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته... لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[3]، كما أورد مفهوم البلاغة عند بعض أهل الهند فقال : «جماع البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بمواقع الحجة»، وفيه إشارة إلى مناسبة الحجة للمقام الذي تُقال فيه. وجعل العسكري أعلى مراتب البلاغة المرتبة التي تؤدي فيه الحجة وظيفتها في بلوغ المقصود من تحسين

---

[1] البعد الحجاجي في البلاغة العربية»، (مقال)، مسعود بودوخة مجلة فكر ولغة، تعليمية اللغة العربية في ضوا النظرية الحجاجية، الموقع الإلكتروني-http://attanafous.univ-mosta.dz/نقلا عن الحجاج في الحديث ص:60.

[2] البيان والتبيين ،ج1، ص 79.

[3] نفسه، ص:56.

القبيح أو تقبيح الحسن : «فأعلى رتب البلاغة أن يحتج للمذموم حتى يخرجه في معرض المحمود، وللمحمود حتى يصيره في صورة المذموم".

أما الغاية من البلاغة - المنبثقة من تعريفها – فهي عند الرماني : «توصيل المعنى إلى القلب - في أحسن صورة من اللفظ»[1]، وعند العسكري «كل ما تبلغ به قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة ، ومعرض حسن»[2] فعبّر العسكري عن البلاغة بأنها تمكين.

2-وجود مصطلحات في البلاغة العربية ذات حمولة حجاجية إقناعية : ومن المصطلحات في حقل البلاغة العربية القديمة التي يغلب عليها طابع البرهان والحجاج والإقناع نجد على سبيل المثال :

المذهب الكلامي –الاستدلال –الإلجاء –الإستدراج – مجاراة الخصم –القياس – الشاهد البلاغي – التمثيل -

---

[1] الرماني ،النكت في إعجاز القرآن ،ثلاث رسائل في الإعجاز ،ص:75 نقلا عن أمال يوسف ،الحجاج في الحديث النبوي ،ص:60.

[2] أبو هلال العسكري الصناعتين : الكتابة والشعر. تح : المكتبة العصرية صيدا - بيروت. 1986،ص:53 نقلا عن :أمال يوسف ،الحجاج في الحديث النبوي ،ص:60.

البلاغة الإقناعية

تمهيدّ :

يتوجّه الحجاج رأساً إلى ملكة البرهنة في المحادث (طاقة التفكير والفهم) للوصول إلى نتيجة. فالفاعل المحاجج يمرّ عبر التعبير عن **قناعة** أو أمر يستدعي التفسير يسعى من جانبه إلى نقله إلى المحادث قصد **إقناعه** ومن ثم تغيير سلوكه.

مثال: تقول الأم لابنها: «إن تمش على شفا الحاجز تعرض نفسك للوقوع والألم الشديد»

الاقناع غاية الحجاج:

لكي يوجد (حجاج) ينبغي أن تتوفر عناصر أساسية :

- ❖ خبر عن العالم يجب أن يمثل إشكالاً بالنسبة إلى شخص ما من حيث مشروعيته.
- ❖ فاعل يلتزم بهذه الإشكالية (قناعة) وينشئ برهنة لمحاولة تأسيس حقيقة (سواء أكانت خاصة أم كونية وسواء أتعلق الأمر بمجرد مقبولية أو بمشروعية ما) لهذا الخبر.
- ❖ فاعل آخر مهتم بالخبر نفسه إشكاليةً وحقيقةً هو الذي يشكّل هدف الحجاج. إنّ الأمر يتعلق بالشخص الذي يتوجّه إليه الفاعل المحاجج على أمل استدراجه نحو مقاسمة الحقيقة نفسها (الإقناع) مع العلم أنّ ذلك الشخص بإمكانه قبول الحجاج أو رفضه (أن يكون مع) أو (أن يكون ضد).

هكذا يتحدّد الحجاج في علاقة ثلاثية بين (فاعل محاجج) و(خبر عن العالم) و(فاعل هدفٍ)

و ركحاً على ما تقدّم الإقناع من بين الوظائف التي من أجلها وضعت البلاغة، فيعرفه القرطاجني بأنّه "إنهاض النفوس إلى فعل شيء أو طلبه أو التخلي عن فعله أو اعتقاده ، فالإقناع يهدف إلى تغيير وجهة نظر المتلقي عن طريق إقامة الحجّة. و يمكن التمييز بين نوعين من وسائل الإقناع في الخطاب الإقناعي العربي، وهي الوسائل المنطقية-الدلالية، والوسائل اللغوية؛ حيث تتضافر هذه الوسائل فيما بينها لإنجاح الوظيفة الإقناعية، ويضاف إلى هذه الوسائل أدوات أخرى غير لغوية، لها دورها هي الأخرى في الإقناع والتأثير؛ كالرمز والإشارة وكذا حركة الجسد.

-1الإقناع:

1.1- مفهوم الاقناع:

يخضع الإقناع للقوانين التي تحكم عملية الإدراك والمعرفة والدافعية لذي يرى محمد عبد الرحمن عيسوي أن الفرد يميل إلى الاقتناع بالإيحاءات التى يعتقد أنّها تصدر من الأشخاص ذوو المكانة الاجتماعية البراقة[1]. كما يعرف الإقناع بأنّه آلية رئيسة لتكوين الآراء والمواقف[2].

والإقناع عند «والاس» «تأثير المصدر في المستقبلين بطريقة مناسبة ومساعدة على تحقيق الأهداف المرغوب فيها، عن طريق عملية معينة، أين تكون الرسائل محددة لهذا التأثير[3]«

---

[1]دراسات في علم النفس الاجتماعية، عبد الرحمن محمد عيسوي، دار النهضة العربية، بيروت، 1974، ص: 19.

[2]رسائل الإعلام وأثرها على تقييم نشأة الطفل الاجتماعي المجتمع العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1992، ص:170.

[3] Theory of Amman communication, Stephen W, little john, Charles E-Merrill company, 1978, P: 163.

ويعرف «توماس شايدل (Thomas Scheidel) «الإقناع بأنه "محاولة واعية للتأثير في السلوك"

وإلى جانب ما سبق من تعاريف يرى كل من «هوارد مارتين Howard) « martin)و«كنيث أندرسون (Kenneth Andersen) «أن كلّ اتصال هدفه الإقناع، وذلك أنّه يبحث عن تحصيل رد فعل على أفكار القائم بالاتصال[1]. ويبدو أن هذين الباحثين بتعريفهما هذا؛ يقصدان الإقناع بمعناه العام؛ وليس الإقناع الحجاجي الذي يصدر عن وسائل منطقية ولغوية خاصة. ويمكن توضيح هذه المسألة بالنظر إلى نصوص الخطابة العربية، إذ يكون النص الخطابي نصا إقناعيا، ولكنّه ليس نصّا حجاجيًا بالضرورة، لأنّه لا يعبّر بالضرورة عن قضية خلافية.

وبناء على ذلك، فإنّ كلّ نصّ حجاجي نصّ إقناعي، ولكن ليس كلّ نصّ إقناعي نصا حجاجيا، يرتبط الإقناع إذن بالحجاج ارتباط النص بوظيفته الجوهرية الملازمة في محيط أنواع نصية أخرى كالوصفيات والسرديات.

وعليه فهناك من يفرق بين نوعين من الإقناع، فهناك الإقناع العقلاني، وهو أحد أشكال النفوذ المرغوبة والكريمة، ويتم بواسطة الاتصال العقلاني هذا الشكل الذي يقوم به (أ) ليمكن (ب) من الوصول إلى فهم الموقف الحقيقي من خلال توفير المعلومات الصحيحة، حيث يتفق الإقناع عن طريق الاتصال العقلاني مع المبدأ

---

[1] Speech communication, Martin Howard, H. Andersen, Knneth E-Allyn and bacon, Inc boston, 1968, P:06. نقلا عن مقال:محمد العبد، النص الحجاجي العربي ، مجلة فصول،الهيئة المصرية،ع:60، 2002م ص: 45.

الأخلاقي الذي أوصى به «كانط (Kant) «ومؤدّاه أنّ المرء لابد أن يتعامل مع أقرانه من البـشر بوصـفـهـم غايـات في ذواتهم، وليس مطلقا كوسائل للوصول إلى غاية[1].

وهناك الإقناع الخداعي، ويتمثل هذا النوع من الإقناع في صور غير أمينة للاتصال، لا تتضمن نقل المعلومات الصحيحة فحسب. نجد أنّ **"ج بوديار"** قسّم الحجاج لقسمين وذلك بحسب الجمهور المتلقي [2].

1-الحجاج الإقناعيL'argumentation persuasive الذي " يهدف إلى إقناع الجمهور الخاصّ ".

2-الحجاج الإقتناعيConviction: الذي هو هدف الحجاج يقوم على الحرية" إن الحجاج في تصور بيرلمان قائم على إقناع الطرف الثاني (المتلقي) وذلك في سياق الحرية. والحوار دون اللجوء إلى أساليب تضليلية أو استعمال أساليب المراوغة .

الفرق بين الإقناع والاقتناع:[3]

1-الإقناع العقلي(Convaincre) الذي يرتبط بالمتكلم الذي يحاول أن يجبر الآخر على الاقتناع.

2-الاقتناع ((Convictionالذي يرتبط بالمخاطب السامع ودوره في عملية الاقتناع بما يقدم له من قضايا وحجج.

---

[1]عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي (خلفيته النظرية وآلياته العملية)، ديـوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، ص: 17.

[2]محمد طروس،اسات البلاغية والمنطقية واللسانية،النّظرية الحجاجية من خلال الدار الثقافة للنشر والتوزيع، ط ، الدار البيضاء،2665،ص202

[3]جميل حمداوي ، المقاربة الحجاجية بين التنظير والتطبيق، ص:46

3-**التأثير العاطفي والوجداني** ((Persuaderالقائم على إثارة العواطف، والمشاعر، والأهواء

ومن جهة أخرى لابد من الإشارة إلى أنّ **مفهوم الإقناع** يرتبط بمفهوم آخر وهو **التأثير**، ويكاد هذان المفهومان يكونان متلازمين؛ فظاهر لفظ التأثير يشير إلى عملية تبدأ من المصدر لتصل إلى المستقبل مع توفر إرادة لذلك في حين أن مصطلح **التأثر** يشير إلى الحالة التي يؤول إليها المتلقي بعد التعرض لعملية الإقناع واستقبال الخطاب وتفاعله معه، **فالتأثير** إرادة وفعل لتغيير السلوك والاعتقادات أو الآراء، أو على الأقل تعديلها أو ترسيخ قيم وأفكار جديدة، أمّا **التأثر** فهو النتيجة المحقّقة من وراء عملية التأثير وبهذا ندرك أن التأثير مرادف للإقناع، والتأثر مرادف للاقتناع، وهناك مصطلح آخر قريب من مصطلح الإقناع وهو «الإيحاء» الذي يشير إلى التأثير غير المباشر في سلوك الآخرين عن طريق النفوذ النفسي، والقدرات السيكولوجية للمقنع[1]

ويعرف «الإيحاء» على أنه: " التأثير النفسي القائم على التقبل الصاغر لما يوحى به من عمل أو سلوك أو أفكار أو رغبات"[2].ونستنتج من هذا أنّ الإقناع يمثل عملية تتقاسمها عدّة مراحل حتّى يصل إلى النتيجة المرجوة، وهي التأثير في سلوك الفرد، إمّا بتغيير هذا السلوك أو بتعديله، أو بناء رأي أو اتجاه جديدين؛ ولذلك نجد «ولبرشرام» و«دونالد روبرت» يعرفان الإقناع على أنّه «عملية اتصال تتضمّن بعض المعلومات التي تؤدّي بالمستقبل إلى إعادة تقيم (Réapprisse) إدراكه لمحيطه أو إعادة النظر في حاجاته وطرق التقائها أو علاقاته الاجتماعية أو معتقداتها

---

[1].ينظر : عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي (خلفيته النظرية وآلياته العملية)، ص: 17 .

[2]وسائل الإعلام وأثرها في المجتمع العربي، ليلى داود، ديوان المطبوعات الجزائرية 2000، ص: 170.

أو اتجاهاته»[1]. ومن خلال هذا التعريف يظهر أنّ عملية الإقناع هي تلك العملية التي ترمي إلى توضيح وبيان كيفية إشباع حاجات الفرد، وتحقيق رغباته؛ وإن كان الإقناع في حقيقته أوسع وأدق من مجرد إشباع وتحقيق الرغبات .

وحتى تؤدّي عملية الإقناع غرضها وتحقق هدفها يرى **«هربرت ليونبرجر»** أنّه يجب على هذه العملية أن تتمّ عبر المراحل التالية[2] : **1- مرحلة إدراك الشيء (Awareness):** وهي المرحلة التي يختبر فيها المخاطب أو الجماعة لأول مرة الفكرة أو الصور أو الاتجاه الجديد، وفي هذه المرحلة يمكن للمخاطب أن يقبل ما قيل له أو يرفض ذلك.

2 - **مرحلة المصلحة والاهتمام :(Interest)** وفيها يحاول المتلقي أن يلتمس مدى وجود مصلحته فيما يطلب منه.

-3مرحلة التقييم أو الوزن :(Evaluation) وفيها يبذل المتلق للمقارنة بين ما يمكن أن يقدم له هذا الأمر أو الاتجاه الجديد، وبين ما تقدمه له ظروفه الحالية.

-4**مرحلة المحاولة :(Trial)** واختبار أو تجريب أو جس نبض الشيء من قبل المخاطب أو المرسل إليهم من ناحية ومحاولة التعرف على كيفية الاستفادة من ناحية أخرى.

---

[1]الأسس العلمية لنظريات الإعلام، جيهان أحمد رشتي، دار الفكر العربي، 1975، ص: 171.

[2]المدخل السوسيولوجي للإعلام، أحمد الخشاب وأحمد النكلاوي، الإسكندرية، دار الكتب الجامعية، 1974، ص: 25.

-5مرحلة التبني :(Adoption) وفيها يصل المرسل إليه أو الجمهور إلى حالة الاقتناع الكامل شفهيا وعمليا بالفكرة الجديدة أي بـالمطلوب، حيـث تصبح هذه الفكرة جزءا من الكيان الثقافي والاجتماعي للفرد والجماعة.

-2-بعض نظريات الإقناع والتأثير:

إنّ استمالة الرأي العام نحو فكرة معينة هي هدف كل قائم بالإقنـاع والتأثير، ومن أجل ذلك ينصب اهتمام القائمين به على أفضل السبل للوصول ونظرا لهذه الأهمية القصوى للإقناع والتأثير سعى بعض العلماء، خاصة علماء النفس وعلماء الاجتماع إلى دراسة هذه الظاهرة فنظروا لها بناء علـى متطلبات العصر، ومن هؤلاء "ميشال لونات" و"والاس".

- نظرية التاءات الثلاثة:

تتّم عملية الإقناع والتأثير في سلوك الأفراد عبر ثلاث مراحل حسب نظرية «ميشال لونات»[1]، وهي **التوعية، والتشريع** ثم **التتبـع** أو **المراقبـة Convaincre, Concraindre, Contrôle**ومن هذه التسميات اشتقّ **و لاس نظرية التاءات الثلاثة**.

أ- مرحلة التوعية:

تتضمن التوعية آليات الإقناع اللساني والتوضيح والتفهيم، وتعزيز كـل ذلك بالأدلة والبراهين المقنعة التي تنساب إلى عقول المستقبلين، على أن يتوفر في الأفكار المراد إيصالها البساطة والوضوح، حتى لا يتعب المتلقـي في فـك رموزها أو ما

---

[1]الإعلام الاجتماعي، ميشال لونات، ترجمة: صالح بن حليمة، مراجعة: مصطفى المصمودي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1993، ص: 13-16. 2)- الإعلام الاجتماعي، ص: 26.

غمض منها، وبالتالي يسهل عليه فهمها وهضمها، فتنال بذلك الرسالة الإقناعية المصداقية، ومما يساعد كذلك على فهم هذه الرسالة، وضوح الغرض المقصود

ولا يتوقف نجاح هذه المرحلة عند هذا الحد فحسب، بل لابد للمرسل من أن يختار الظرف المناسب لإلقاء رسالته حتى نجد صداها، أو الآذان الصاغية والقلوب الرحبة فللظرف المحيط أو الراهن فعله كذلك في عملية الإقناع والتأثير[1].

ب- مرحلة التشريع:

من منظور «ميشال لونات» يجب أن تعزز مرحلة التوعية والتفهيم بمرحلة تابعة تتمثل في إصدار قانون يدعم الفكرة ويمنع المتلقي من مخالفتها؛ ولذا يرى أن التوعية وتوضيح الأشياء وبيان العواقب غير كاف للتأثير في سلوك المتلقي للإتيان بالأمر المطلوب أو الامتناع عنه، فالاقتناع والتأثير لابدّ أن يحملا في طياتهما معنى السلطة والمسؤولية والاختيار والترغيب والترهيب ولعلّ المبرّر لرأي «ميشال لونان» حول إصدار القوانين هو أن الإنسان يجد نفسه عاجزا أمام سلوكه ونزواته ورغباته ودوافعه.

ج- **مرحلة التتبع**[2]:

من أجل نجاح عملية الإقناع والتأثير، لابدّ من المراقبة والتتبع؛ وهذا يستوجب التأكيد على ضرورة احترام القوانين أو العمل بالمطلوب والتنبيه والتحذير من التقاعس.

---

[1]الإقناع الاجتماعي، ص: 60-61.

[2]في بلاغة الخطاب الإقناعي، ط2، ص102. 3)- الخطابة، أرسطو، الترجمة: العربية القديمة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيرون، 1979، ص:186.

وعملية التأكيد والتذكير والمتابعة هي التي تزيد من درجة مصداقة الرسالة الإقناعية لدى المتلقين، كما أنّها تجذب اهتمامهم.

وظيفة الصور البيانية:

تعتبر الاستعارة، بمعناها الواسع عند أرسطو؛ عنصر إغراب تحدث الهيبة والعجب، «وما يحدث العجب يحدث اللذّة» والنثر البسيط (غير الموزون) يستعمل هذه الوسائل في حدود، في حين تكون «الوقائع والأشخاص، أشد بعدا وغرابة في الشعر») ولكن الخطابة قائمة على مبدأ أساس يكبح جماح العنـــصر الاستعاري، وهو مبدأ الوضوح والوصول إلى أذهان المستمعين بدون حواجز جاء في البيان والتبيين: «ولا تجعل همك في تهذيب الألفاظ، وشغلك في التخلص إلى غرائب المعاني، وفي الاقتصاد بلاغ»[1] وكما اشترط البلاغيون والنقاد العرب الوضوح في الخطابة اشترطوه كذلك في الشعر، وهم لذلك 336 اختلفوا حول المبالغة والغلو والإغراق والإحالة، ولتحقيق مطلب الوضوح اشترطوا لفصاحة الكلام الخلو من التعقيد والغريب والحوشي، وكل ما ينافي الطبع، ويعوق اقتناع المستمع بصدق الخطيب وهكذا، ينبغي للخطيب أن يكون في جميع ألفاظه جاريا على سجيته، غير مستكره لطبيعته، ولا متكلف ما ليس في وسعه، لأن التكلف إذا ظهر في الكلام هجنه، وقبح موقعه[2])

ويجد المطلع على معظم خطب الحجاج مجموعة من التشبيهات والاستعارات والكنايات استجابة لمتطلبات العصر الأموي، ويعدّ الحَجَّاج من بين طائفة الخطباء الفحول الذين اهتموا بالتصوير وإبراز مقدرتهم الفائقة في استعماله بالإضافة إلى

---

[1] البيان والتبيين، ج255،ص:1.
[2] في بلاغة الخطاب الإقناعي، ط2، ص: 102.

عمرو بن سعيد الأشدق، وعتبة بن أبي سفيان، وليست الصورة عند هؤلاء عنصرا مساعدا لأفكار وحجج قائمة بذاتها على الدوام، بل كثيرا ما كانت الصورة هي المادة والشكل، هي الموضوع والحجة[1]. كما هو جلي في خطبة الحجاج بعد قتل ابن الزبير «موج ليل التطم، وانجلى بضوئه صبحه، يا أهل الحجاز كيف رأيتموني؟ ألم أكشف ظلمة الجور، وطخية الباطل بنور الحق؟ والله لقد وطئكم الحجاج وطأة مشفق، وعطفة رحم، ووصل قرابة. فإياكم أن تنزلوا عن سنن أقمناكم عليها. فأقطع عنكم ما وصلته لكم بالصارم البتار،

الاستعارة:

يمكن للاستعارة أن تكون عبارة عن حجة عندما تعمل على تحقيق الإقناع وبالتالي تصبح أداة اقناعية، فالاستعارة كما ألفناها في الدرس البلاغي القديم "هي تسمية الشيء باسم غيره إذ قام مقامه وهي استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها"، وهي نقل العبارة مكان استعمالها لغرض أخر وذلك إفادة المعنى أو الإشارة إليه بقليل من اللفظ.

ولقد لعبت الاستعارة أداة اقناعية في خطاب المتكلم ليجعل المرسل إليه (المواطن الجزائري) يتخيل أفكاره وتدفعه إلى الدخول فيها ووصول رسالته بالقصد الذي يريده، وذلك بإبرام علاقته بين الملفوظ والقصد، كما يسميه غرايس (Greis)المعنى غير الطبيعي ويسميه أيضا سيرل (Searl)بالمعنى غير الحرفي وبمعنى ملفوظ المتكلم واستعمال اللفظ في المعنى له دور مهم في العملية التواصلية.فنجد من بين الاستعارات التي وظفها المخاطب في تحقيق قصده هي الاستعارة المكنية، وقد ظهر ذلك في قوله.

---

[1] **جمهرة خطب العرب، ج287،ص:2.**

العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبية

خصائص البلاغة:

لم تكن البلاغة في العصر القديم مرادفة لنظرية الأسلوب، ولقد أشار «بول ريكور (Paul Ricoeur) «إلى تعدّد المجالات التي كانت تشغلها بلاغة أرسطو، وهي نظرية الحجاج التي تمثل المحور الأساس ونظرية الأسلوب ونظرية تأليف الخطاب: «وما تقدمه لنا الكتابات المتأخّرة في البلاغة ،لا يعدو أن يكون مجرد بلاغة مقيدة،...فقد أصبحت تقتصر على نظرية الأسلوب ثم بشكل أضيق على نظرية المجاز"[1].

وهكذا تقلصت البلاغة إلى أحد أجزائها المتمثل في الأسلوب أو العبارة Elocution، وبذلك أصبحت مرادفة للأسلوبية، وبعد أن كان مفهوم البلاغة قائما على الإقناع عند المفكرين الأوائل، أصبح فيما بعد يفيد «فن تجويدالكلام"[2]

وبناء على المفهوم الجديد للبلاغة **«فن تجويد الكلام»** صارت البلاغة هي اختيار التعبير المزخرف الذي يمكنه خدمة **الوظيفة الإقناعية.** وهكذا أصبحت البلاغة التي تحظى بالتقدير هي تلك التي تتغيا المحسنات أي بلاغة تجويد الكلام وخلق أنماط لغوية جميلة [3]وبذلك لم تعد البلاغة فنا يسخر الوسائل اللغوية من أجل غاية خارجية.

---

[1] La Métaphore vive, Paul Ricoeur, Paris, 1975, le seuil, P: 13.

[2] مقال البلاغة ومقولة الجنس الأدبي، ص: 70.

[3] Rhétorique de la poésie, Group Mu, 1982, le seuil, P: 13. نقلا عن البلاغة ومقولة الجنس الأدبي، ص: 71.

ومهما تباينت الأساليب الداعية إلى أفول نجم البلاغة بمعناها القديم فلعلّ انتقال موضوعها من الخطابة إلى الشعر، يمثّل عاملا في تفسير تحوّلها من مذهب شامل إلى نظرية في الاستعارة والكناية.ومن دون شكّ أنّ البلاغة نشأت مرتبطة ارتباطا وثيق بفكرة المقاصد،أي أنّ البلاغة مدارها تحقيق الأهداف والغايات كيفما كانت هذه الغايات،خطابية أو شعرية أو عملية أو ثقافية أو دعاية[1]. وبمعنى آخر فإنّ البلاغة العربية منذ نشأتها تحاول أن تقف موقفا خاصّا، يتّضح هذا الموقف في اختيار الكلمات و ترتيبها وفي سعيها إلى الاهتمام بالسامع اهتماما يشبه العمد والاختلاف .

وعلى هذا الاعتبار يمكننا القول إنّ البلاغة القديمة وجهت توجيهات نفعية بعيدة عن مراسيها العلمية الأصلية التي كان عليها أن تخلّص التوجه نحوها .فقد أراد بها البعض خدمة غرضه (مقصده) لا غرضها ،وهي لذلك تهدف بالدرجة الأولى إلى كسب تأييد المتلقي في شأن قضية أو فعل مرغوب فيه من جهة ،ثمّ إقناع ذلك المتلقي عن طريق إشباع مشاعره و فكره معا حتى يتقبل ويوافق على القضية أو الفعل .

وبهذا المعنى ، يصح القول:إنّ البلاغة بخصائصها توجه إلى القلب والعقل معا ،إذ يجمع القول فيها بين المضمون العقلي للحجة (الشاهد)و صورها البيانية أو بين التبرير العقلي والمحسنات البديعية ،لأنّ مدار ذلك هو الإغراء و الإستغواء قصد الإمتاع والإقناع.

[1] اللغة بين البلاغة والأسلوبية ،ص:189.

العلاقة بين البلاغة والأسلوبية :

الأسلوبية فرع من اللسانيات و وليدة علم اللغة،تغذت من البلاغة القديمة وعلى خلاف زعم بعض الباحثين الغربيين الذين يعدو الأسلوبية وليدة الغرب وأوروبا، يرى الباحثون العرب جذورها في البلاغة القديمة وعلم اللغة، والنقد الأدبي، ولكن كانت هذه المعلومات منزوية عبر السنوات السابقة ، حتى تطوّرت بتطوّر علم اللغة الحديث، وانضمّت هذه العلوم تحت لوائها وتوسع مداها، ولم تكتف بهذه العلوم، بل تطرّقت إلى علوم أخرى نحو علم الاجتماع وعلم النفس وغيرهما .

الأسلوبية منهج نقدي تطوّرت بتطوّر علم اللغة، وتقوم بدراسة التحليل اللغوي وهي من الدراسات الحديثة الآخذة في التطوّر.وعلى خلاف زعم بعض البلاغيين المحدثين الذين يعدون الأسلوبية نفس البلاغة الجديدة أو فرعا من فروع البلاغة القديمة،لا بدّ من القول إنّ الأسلوبية تختلف عن البلاغة في غالبية مناهجها و إ كانت ترتبط بها في بعض المواضيع، وفي بعض قضايا التحليل اللغوي؛لكن فاعليتهماتختلف في التحليل الأدبي أيضا والأسلوبية أوسع مدى من البلاغة. اهتم كثير من الباحثين المحدثين بدراسة التحليل البلاغي والأسلوبي

وأما الأسلوبية الحديثة انبعثت عن عقلية الإنسان ، فقامت الأسلوبية على الفكرة والعاطفة والخيال والبلاغة، وتتناول النص عبر هذه المعايير ولا تنفك عن هذا.فالأسلوبية الحديثة تقوم بتحليل النص عبر ثلاثة عناصر، هي:

1- .**العنصر اللغوي.**يعالج نصوصا قامت اللغة بوضع رموزها.

2-.**العنصر النفعي:** ويؤدي إلى أن دخل في حسابنا مقولات غير لغوية مثل: المؤلف، والقارئ، والموقف التاريخي، وهدف الرسالة، وغيرها.

3-.**العنصر الجمالي الأدبي:** وتكشف عن تأثير النص في القارئ والتفسير والتقويم الأدبي له.بعبار ة أخرى العنصر الجمالي هو مزايا الكلام تظهر في نظمه، وخصائص في سياق لفظه وبدائعه، حيث تقع كل كلمة مكانها لاتنبو بها مكانها، ولايرى غيرها أصلح هناك أو أشبه حتى يبلغ القول غايته.

و**البلاغة الجديدة** انبعثت في ضوء المعايير الأسلوبية والشكلية والاهتمام بأدبية النص الأدبي، ودراسة الوظيفة الشعرية ورصد الصور البلاغية و دراسة نظرية أفعال الكلام .وهذا ما يجعلنا اليوم نتحدّث عن أسلوبية السياق والمقام مع نظرية أفعال الكلام ، وتصوّرات التداوليين، التي أسّست لرؤية جديدة في البلاغة المعاصرة.

و تتّضح العلاقة جلية بين البلاغة والأسلوبية ،سواء على مستوى الجانب التعبيري أو التأثيري الذي ظهر فيه وجه التقارب أكثر لما يحمله من ملامح تأثيرية في المتلقي ، فالأسلوبية التأثيرية هي التي تهتم بالمتلقي عن طريق قياس تأثيرات النصّ عليه من خلال استجاباته وردود فعله حيث إنّ المتلقي له الحق في توسيع دلالات النص من خلال تجربته هو .

المشترك بين البلاغة والأسلوبية

الأسوب في خدمة البلاغة :

هناك مفاهيم وتعاريف للأسلوب قد ركزت على النص نفسه وذلك من خلال النظر إلى خواصه في إطار البحث الموضوعي مع وجود تعريفات تهتم بالقارئ أو المرسل إليه كمتلق وطرف أساسي في العملية الإبداعية من خلال التركيز على قضية التأثير وردة الفعل على العمل الإبداعي هذا ما يؤكد أن الأسلوب هو المؤلف في تأثره وذاتيته وإحساسه وخصائصه المميزة في إنتاج أعماله الإبداعية ، فهو صورة لنفسية المؤلف شاعرا كان أم كاتبا ، كما أنه نظرة القارئ للعمل الأدبي وإدراكه التفريق بين المضمون والأسلوب " المؤلف " ويخص كذلك الأثر أو العمل الأدبي وما قدمه الأديب من فنيات معينة جميلة في بناء نصه " ألفاظ ،عبارات ، صور وخيال ...". إن هذه النظرة الثلاثية " المؤلف ، النص ، القارئ " للعلماء الشاملة لعناصر العملية الإبداعية جعلت للأسلوب عدد كبير من التعريفات المختلفة والمتنوعة .

من بين أهمها ما قدمه " بالي " "PALLE" مؤسس علم الأسلوب ، حيث يراه " يتمثل في مجموعة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفيا على المستمع أو القارئ ، ومهمة علم الأسلوب لديه هي البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة المنظمة والفاعلية المتبادلة بين العناصر التعبيرية التي تلتقي لتشكيل نظام الوسائل اللغوية المعبرة ". فقد ركز في هذا التعريف على قضية التأثير الخاصة بالمؤلف والمتلقي والتي تكون بلغة تعبيرية خاصة منتقاة قائمة يفرضها في المتلقي ناقلة لخصائص وميولات المبدع " المؤلف ".

وهذا ما ذهب إليه"سيدلر"SEIDLER" "حينما أعطى للمتلقي مكانة هامة ومميزة في عملية التواصل الأدبي بقوله أن الأسلوب " هو طابع العمل اللغوي وخاصيته التي يؤيدها ، وهو أثر عاطفي محدد يحدث في نص ما بوسائل لغوية وعلم الأسلوب يدرس ويحلل وينظم مجموعة الخواص التي يمكن أن تعمل في لغة الأثر الأدبي ونوعية تأثيرها والعلاقات التي تمارسها التشكيلات الفعالة في العمل الأدبي ". كما أننا نجد نفس الاتجاه والمحتوى عند "ستاندال "في قوله عن الأسلوب " هو إضافة كل الظروف إلى فكرة معينة لإحداث كل التأثير الذي يجب أن تنتجه الفكرة المعينة ".

و إن هذا التعريف بسيط إلا أنه شامل وعميق في أبعاده وأغراضه . فالطريقة مقصود بها الميزة و الأسلوب الخاص بكل مؤلف في التعبير؛بمعنى في وسائله اللغوية من ألفاظ وعبارات وتراكيب وحتى خيال ومحسنات ، أما إذا جئنا لقضية الفكر و جدناه عقل المؤلف وآرائه الخاصة التي يغذيها بتأثيراته وانفعالاته إيزاء حدث ما هذه الأفكار وهذه التأثيرات والانفعالات بتعابيرها الخاصة والمميزة لا تبرز للقارئ أو المتلقي إلا من خلال أثر أدبي معين لا يظهر للوجود إلا من خلال اللغة وسيلة التواصل مابين المبدع والمتلقي . هذا من باب الدراسات اللغوية ؛ بمعنى أن هناك وسائل أخرى للاتصال بين المبدع والمتلقي كالرسم والنقش والموسيقى . من هنا ظهر مصطلح الأسلوبية كمفهوم جديد في القرن "12" لصيق بالدراسات اللغوية ، ومن بين الممكن القول أن الأسلوب مهاد الأسلوبية لكنها تجاوزته ؛ فالبحث الأسلوبي هو تلك الملامح أو الثياب المتميزة في تكوينات العمل الأدبي وبواسطتها يكتسب تميزه الفردي أو قيمته الفنية .

مفهوم الأسلوبية:

فكما كان الحديث عن الأسلوب سيكون الحديث عن الأسلوبية فالأسلوبية تعددت تعريفاتها بتعدد مواد دراستها واهتماماتها فمرة كان الاهتمام في الأدب باللغة وأخرى بالمبدع وما يختلج شخصيته من كل الجوانب وأخرى ثالثة بعملية التواصل التي تقف مرتكزة على القارئ أو المتلقي وتأثراته .

و هذا ما أهمله خاصة علم الأسلوب التقليدي أوالقديم ، فالدراسة الأسلوبية كواسطة بين اللغة كنظام وبناء وتركيبات والأدب كأثر وفن وإبداع ذات علاقة وثيقة بالبحث في أنماط التنويعات اللغوية العامة والتي يعمل المؤلف أو المبدع على إحضارها وإبرازها في العمل الأدبي. والأسلوبية أو " علم الأسلوب " علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب العادي أو الأدبي خصائصه التعبيرية والشعرية ، فتميزه عن غيره ، وتعتبر الظاهرة الأسلوبية في الأساس لغوية. وهي ترجمة للمصطلح الغربي ذي الأصل اللاتيني "STYISTICS"و " STYLUS" الذي يعني أداة الكتابة واللاحقة "LSTICS" تعني البعد العقلي المنهجي الموضوعي ، هذا ما ذهب إليه إبراهيم رماني في كتابه " مدخل إلى الأسلوبية.

هذه الكلمة اللاتينية كانت تعني مشكلة الكتابة إلى أن اكتسبت دلالتها الاصطلاحية وأصبحت تعني الطريقة الخاصة للكاتب في التعبير .

وجاء في لسان العرب : " الأسلوب يقال للسطر من النخيل وكل طريق ممتد فهو أسلوب و" الأسلوب "الطريق والوجهة والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء ، والأسلوب الفني يقال أخذ فلان من أساليب القول أي أفانين من القول ". وقد برز هذا المصطلح خلال القرن التاسع عشر وتحدد مفهومه إلا في العقد الأول

من القرن العشرين ولقد أسهمت اللسانيات على يد "دي سوسير " إسهاما كبيرا في ظهور علم الأسلوبية خاصة على يد تلميذه " شارل بالي " " CHARLES BALLY" الذي بعث وأرسى قواعده ـ علم الأسلوب ـ سنة6021م ،لهذا نجده على ارتباط وثيق بالألسنية الحديثة .

وقد أجمع الكثير من علماء اللغة الحديثة أ، الأسلوبية تشكل علما قائما بذاته له مقوماته وأدواته الخاصة وكذا موضوعه ، ومن بين هؤلاء " جاكبسون " و" ميشال ريفاتير " و" ستيفن أولمان "و" باختين " ويعتبر الدكتور " عبد السلام المسدي " السباق إلى نقل هذا المصطلح بخصائصه وترويجه بين لباحثين العرب ، ويترجم المسدي مصطلح "STYLISTIQUE" بالأسلوبية وهي " مفهوم البحث عن الأسس الموضوعية في حدود عقلانية ، كما تبحث عما يتميز به الكلام الفني من بقية مستويات الخطاب ومن سائر أصناف الفنون الإنسانية إذ نعني بدراسة الخصائص اللغوية التي تنقل الكلام من مجرد وسيلة إبلاغ عادي إلى أداء تأثير فني ".

وقد قدمت تعاريف متنوعة في مشاربها مختلفة في اتجاهات أصحابها عن الأسلوب فمن زاوية المتكلم أي الباث للخطاب اللغوي لكل نص أسلوبه الخاص يكشف عن فكرصاحبه ونفسيته ، فالمبدع يقوم باختياره وتجميع وتوزيع لغته حسب وجهات نظره المختلفة القائمة على تركيبات اجتماعية وأخرى اقتصادية تاريخية وجغرافية وحتى ثقافية عاملة على تكوين شخصيته . من هنا جاز لنا القول أن الأسلوب أو علم الأسلوبية هو المؤلف بمكوناته المختلفة ، وهذا ما أكده " أفلاطون " حين قال وأكد أنه كما تكون طبائع الشخص يكون أسلوبه وهذا ما ذهب أليه " بيفون " على أن الأسلوب هو الإنسان نفسه وغيرهما ممن نظروا نظرة مزدوجة للمبدع كأثر ومصدر للعمل

الإبداعي ولغته كنظام بنائي معين أراده هذا المؤلف للفردية والتميز من خلال اختباراته وتوزيعاته لتراكيب لغته . وقد التفتت الأسلوبية أيضا لجوانب الأدب بجدية إلى عملية التواصل التي يشترك فيعها المؤلف والمتلقي في النص ، فكما أعطي جزء من الاهتمام بالمؤلف أعطي نفسه للمتلقي كدور فعال في العملية الإبداعية .

فمن زاوية المخاطب أي المتلقي للخطاب اللغوي ، فالأسلوب ضغط مسلط على المتخاطبين وأن التأثير الناجم عنه يعبر إلى الإقناع أو الإمتاع لهذا وجدناه في صلة دائمة ووثيقة بالعلوم الإنسانية الأخرى كاللغوية والاجتماعية وحتى النفسية والجغرافية و التاريخية .

إن هدف علم الأسلوب هو الكشف عن تلك العلاقات المتبادلة بين الدال والمدلول، هذا من الناحية اللغوية ،مما جعله يحتاج إلى مسارات تاريخية وأخرى نفسية اجتماعية وغيرها للوصول إلى بيت القصيد الذي من أجله وجد عمل أدبي معين هذا الكشف دفع بهذه الدراسة كما قلنا سابقا إلى النظر لنفس المتلقي اتجاه أي عمل أدبي ليكون مشاركا بذلك في أهداف العمل الأدبي ومراميه ، وبعبارة أخرى هو أن تضيف لفكر معين مجموعة من الملابسات تعمل على إحداث التأثير ، فاللغة تعبر والأسلوب يبرز من أجل التأثير.

و وفق هذه الرؤية النقدية وجدنا الأسلوب والأسلوبية لهما علاقة وطيدة بالدرس الحجاج والبلاغة الجديدة ، لأنّ كلاهما يشتغل على التأثير بشقيه الإقناعي والإمتاعي.

أثر البلاغة في الشواهد الشعرية عند النحاة

الشاهد:

يعتبر عنصر الشاهد من الحجج القوية التي يستعين بها كل متكلم للوصول لأهدافه ا لما تحمله من قوة حجاجية بهدف إقناع المتلقي ، والشاهد عند أرسطو "هو بمثابة القوانين والشهود، و الاعتر افات وأقوال الحكماء"[1]، وهو من الحجج الجاهزة، أو غير الصناعية عند أرسطو ،ويمثل الجنس الثاني من الحجج التي يعدها عمدة الحجاج. وهو لفظ أو عبارة لها قدسية أو مكانة تاريخية تجعلها محل القبول أو التقديس عند عموم الناس، وقد تكون نضا مقدسا (مثل القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف)، أو شكلا شعريا كـ (عبارة، شطر بيت، بيت، أو أكثر من بيت شعري)، أو حكمة أو مثلا، أو قولا مشهورا. وهو طريقة في تقديم خطاب ينتمي إلى المواضعة

والمتكلم يعمد إلى الاستعانة بهذا النوع من الحجج معتمدا على موقفه، وموقف الجمهور من الشاهد، موظفا إياه في السياق، مراعيا متطلبات المقام، متحريا ما يلائم الغرض المطلوب الاستدلال عليه، وهذا الاستشهاد لا يأتي اعتباطا، وإنما لغاية محددة يتوخاها المتكلم " وغاية الاستشهاد توضيح القاعدة، وتكثيف حضـور الأفكار في الذهن، وربما كان الاستشهاد أداة لتحويل القاعدة من طبيعة مجردة إلى أخرى محسوسة " [2].

أهمية الشاهد: أهمية الاستشهاد تكمن في تحقيق الإقناع وإزالة الشكّ، وتدعيم الخطاب، وتقوية الفكرة، وإضفاء المزيد من الشرعية إلى الحجة. فالمتكلم يرفع من

---

[1] محمد العمري،في بلاغة الخطاب الاقناعي " الخطابة في الفن الأول نموذجا،إفريقياالشرق،ط4،بيروت، لبنان، 4114، ص51.

[2] من إشكاليات تطبيق المنهج الحجاجي على النصوص - حجاجية المفردة القرآنية نموذجا -، (مقال)، ضمن : الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 4، ص 192.نقلا عن : أمال يوسف المغامسي ،الحجاج في الحديث النبوي ،ص:69.

قيمة خطابه، ويمنحه قوة وسلطة مستمدة من قوة الشاهد وسلطته عندما يدمجه في الخطاب، ويجعله عنصرا أساسا في تكوينه، «فلا يركز في الحجاج (إلقاء وتحليلا وكتابة...) إلا على الأمور الداخلة في بنيته الموصلة إلى الإقناع، فالأمثلة الجاهزة، والجمل الوعظية أو الإرشادية وغيرها، لا يتم التطرق إليها إلا إذا كانت داخلة في بنية قولية خطابية وتؤدي هدفا في خطة حجاجية معينة»[1]، ولذلك يعد شارودو الشاهد أسلوبا ينشأ عن ظاهرة لسانية تسمى الأسلوب غير المباشر ويستخدم من أجل إحداث أثر تصديقي في الخطاب . وقد كان للشاهد دوره المميز في مناظرات والجدل والاحتجاج عند المتكلمين، حيث عمدوا إلى حشد الأدلة والشواهد النقلية لإثبات آرائهم وتدعيم حججهم. والشواهد ليست على درجة واحدة من حيث القوة والسلطة، فالشاهد القرآني يأتي على رأس السلم الحجاجي، ثم الحديث النبوي، ثم الشعر، ثم المثل السائر والحكمة.

ومن أدباء العرب ونقادهم الذين اعتنوا بالشاهد عناية نظرية وعملية الجاحظ الذي أكد أن «مدار العلم على الشاهد والمثل [2]..

الشعر معيار للبلاغة:

يرى معظم الباحثين أنّه من الشّعر انطلقت معظم الأفكار البلاغية والنقدية في تراثنا العربي، ولن يعترض على هذا سوى القول إن طبيعة هذه الأفكار لم تكن تخلص للتعبير الشعري كما تفهمه اليوم ودليلهم في ذلك ما شهدته الخطابة من انتعاش وازدهار في العصور الإسلامية الأولى مما كان لـه تأثير قوي في صياغة التفكير

---

1 الحجاج عند بيرلمان. (مقال)، محمد الأمين الطلبة، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 2، ص 186.

2 الجاحظ ،البيان والتبيين، الجزء الأول، ص 166.

البلاغي الذي يعد الجاحظ أحد ممثليه الأوائل[1] وربما يبنى رأي هؤلاء النقاد على أن السمة الخطابية في الشعر العـربي الذي لم يكن ممكنا فصله عن **الوظيفة الإقناعية** التي ارتبطت به بحكم المكانـة السامية التي احتلها في سلم القيم الاجتماعية، وحتى عندما تدهورت مكانته في المجتمع العربي، ظل يمارس الإقناع ولكن هذه المرة بطريقـة أخـرى. للبلاغة لإقناعه والتأثير فيه. فالتأثير والاستمالة يتطلبان الإبانـة والوضـوح وأساليب الإقناع، ومن هذا نفهم أنه يجب الإقرار بوجود حجاج بلاغي يجد عناصره الأساسية في المعاني البلاغية كـأدوات إقناعية؛ مثـل الـشاهد والاستشهاد والحجة والدليل والاستدلال[2])...

وبهذا الصدد يرى الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين» بأن الشاهد عنصر من عناصر الحجاج والإقناع؛ كما أنه مرادف للحجة والدليل والبرهان، وبناء على هذا فإن للحجاج دلالة بيانية وبلاغية وكذلك له حمولة عقلية ومعنوية؛ إذ به يحصل التصديق والاستدلال والخبر والبرهنة على صدقه[3].

ومن هذا المنظور، اعتبر الحجاج البلاغي القائم على الشواهد دعامـة لإرساء الحقائق وبناء صرح العلم عند كل مر الجاحظ، وكل من نهج نهجه؛ وهكذا يؤكد الجاحظ أن «مدار العلم على الشاهد والمثل... ولعل الجاحظ يكون قد استمد دور الشاهد والمثل من عادة العرب في هذا الميدان، وهو لهذا كثيرا ما كان يجعل من الحجة والدليل والشاهد أشياء مترادفة ومتطابقة، وفي هذا يقول: "وكان المقنع الكندي

---

[1]التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، مشروع قراءة، حمودي صمود، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1981، ص: 185.
[2]مقال الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص: 109.
[3]المرجع نفسه، ص: 09.

الشاعر واسمه محمد ابن عمير، كان الدهر مقنعاً، والإقناع سمة الرؤساء والدليل على ذلك والشاهد الصادق والحجة القاطعة أن رسول الله ﷺ كان لا يكاد يرى إلا مقنعاً"[1].

ومهما يكن، فإنّ اللغة لا تستمد جماليتها من تكوينها الذاتي فقط، أي باعتبارها أصواتاً وتراكيب ومجازات ذات طاقة تأثيرية مباشرة، ولكن من علاقتها بالجنس الأدبي الذي تذعن له في صوغ أبنيتها إذ تصبح اللغة بموجب هذه العلاقة في أفق جمالي جديد، حيث يعمد المبدع إلى نسج خيوطها واختيار ألوانها متفقا مع ما يقتضيه هذا الإطار من مكونات وثوابت وعلى هذا النحو تتحدد جمالية اللغة وأسلوبيتها بوظائفها التصويرية في سياق جنس أدبي محدد وكأن طاقة اللغة في التأثير تكمن في الجنس الأدبي نفسه باعتباره أداة فنية متميزة يناط بها توصيل رسالة إنسانية[2].

ولعل شيئاً شبيها بهذا قد حصل للتفكير البلاغي العربي القديم الذي بدأ مرتبطا بجماليات اللغة العربية كاشفا عن خصائصها التعبيرية والفنية، فهذه اللغة التي قال عنها ابن جني إنها «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»[3]، تتجاوز وظيفتها التواصلية النفعية إلى وظائف جمالية وقف التفكير البلاغي الموروث بتأملها بشغف كبير، لم يلبث أن تمخض عن «أبواب» ومباحث مهمة تمثل حصيلة استقصاء دقيق لجماليات هذه اللغة التي وصفت بالحكمة والإتقان[4]. والحقّ، إن هذا التفكير البلاغي قد وجد في الشعر ضالته المنشودة حيث اعتبر هذا الجنس من الكلام شاهداً على أساليب العرب، فهو النموذج الأمثل الذي يستمد منه العالم الحجة لإثبات خصائص

---

[1] البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الفكر ودار الجيل، بيروت، المجلد الأول، ص: 171.

[2] ينظر:محمد مشبال، البلاغة ومقولة الجنس الأدبي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم الفكر، المجلد 30، العدد 01، سبتمبر 2001،ص: 51-52.

[3] الخصائص، ابن جني، تح:محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط3، 1986، ج34،ص:1.

[4] محمد مشبال، البلاغة ومقولة الجنس الأدبي، ص: 58.

العربية في التعبير الجمالي، وهكذا تحولت بلاغة الشعر إلى سند يترافع إليه علماء اللغة والبلاغة للـدفاع تارة عن حكمة العربية وتارة عن إعجاز القرآن[1])

وبناءً على هذا الاعتبار، عد الشعر كأهم عنصر في بنية ثقافة المجتمـع العربـي، وكنمط للتعبير الذي شغلهم عن التفكير في أنماط أخرى؛ لأن الشعر آنذاك كان «علم العرب الذي لم يكن لهم علم أصح منه[2].

الشاهد الشعري في تفسير القرآن:

الاستشهاد البلاغي.والمقصود بشواهد البلاغة، ما ورد من الشعر للاستشهاد على مسائل البلاغة، وإن كان ذلك من باب التمثيل لا الاستشهاد، ولكن تسميته بالشواهد من باب التجوز لما تقدم من أن البلاغة يستشهد لها بشعر الشعراء المتقدمين والمتأخرين لتعلق الأمر بالمعاني لا بالألفاظ، والمعاني مشاعة بين الجميع [3].وترد شواهد البلاغة في كتب التفسير لبيان جَمال التعبير في القرآن الكريم، وإبراز صوره البيانية، وأساليبه العالية.

ولقد حفلت كتب التفسير بكثير من الشواهد الشعرية ذات الصبغة البلاغية، وهي من الأغراض الأساسيةِ للشواهد الشعرية في كتب التفسير بصفة عامة، وتتفاوت كتب التفسير محل الدراسة في العناية بها وإبرازها، فأما الإمام الطبري فقد تعرض لكثير من مسائل البلاغة في تفسيره ، وأورد في أثناء كلامه كثيرًا من شواهد البلاغة ، غير أنه لم يدخل في تفسيره شاهدًا شعريًا لشاعرٍ متأخرٍ عن عصور الاحتجاج، ولذلك كانت شواهده البلاغية من الشواهد المتقدمة للجاهليين والإسلاميين.

---

[1]المرجع نفسه، ص: 58.

[2]طبقات الشعراء، ابن سلام الجمحي، تحقيق وشرح: محمود شاكر، القـاهرة، 1952، ص: 22.

[3] انظر: الخصائص ،ج1،ص:54.

وأمّا الزمخشري فقد فاقت الشواهد البلاغية في تفسيره غيرها من الشواهد، وقد عُنِيَ ببيانِ أوجه شواهده البلاغية، وقد أخذ كثيرًا من شواهد سيبويه النحوية واستخدمها في مسائل بلاغية في تفسيره، ومن أمثلة ذلك، قول النابغة الذبياني[1]:

ولا عيبَ فيهِمْ غيرَ أَنَّ سُيوفَهُم ... بِهِنَّ فُلولٌ من قِراعِ الكتائِبِ

فقد قاس عليه الزمخشري أكثر من آية في الاستثناء من الشيء بما يشبه نقيضه . ومن ذلك عند قوله تعالى ﴿**لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾ [2] حيث قال :أي: إن كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغوًا فلا يسمعون لغوًا إلا ذلك، فهو من وادي قوله [3] وذكر الشاهد.وقال عند قوله تعالى﴿ **:وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا** ﴾[4] (قال الزمخشري : "أرادوا وما تعيب منا إلا ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان" ومنه قوله[5] ... "وذكره. وكرر الاستشهاد به على هذا الوجه، في مواضع من تفسيره[6] .في حين أورده سيبويه في الكتاب شاهدًا على الاستثناء المنقطع، بنصب غير على الاستثناء، ومعناه : أي ولكن سيوفهم بهن فلولٌ.[7]

ومن أمثلة الاستشهاد البلاغي في كتب التفسير ما يأتي:1 - ذكر الطبري عند تفسيره لقوله تعالى} :﴿ **لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ**

---

1 النابغة : ديوانه ،60..
مريم:62 2
3.الزمخشري ،الكشاف ج4،ص:34.
4 الأعراف :126.
5 الزمخشري ،الكشاف ج2،ص:154.
6انظر: الكشاف ٤/ ٧٣٣.
7انظر: الكتاب ٢/ ٣٢٦.

بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾[1] "أنَّ العرب تضربُ لِمَن سعى فيما لا يدركه مَثَلًا، بالقابض على الماء، قال بعضهم ".

فإنِّي وإيَّاكُمْ وشَوقًا إليكمُ ... كَقابضِ مَاءٍ لم تسقه أَنامِلُه [2]) (يعني بذلك أنه ليس في يده من ذلك إلا كما في يد القابض على الماء؛ لأن القابض على الماء لا شيء في يده، وقال الآخر :فأَصْبحتُ مِمَّا كانَ بَيْنِي وبَيْنها ... مِن الوُدِّ مثلَ القَابضِ الماءَ باليَدِ . [3]) (ففي هذين الشاهدين البلاغيين دلالة التشبيه، وقد شرح الطبري الأول منهما، وهذا منهج عند الطبري أن يشرح الشاهد الأول ويترك ما بعده استغناء بشرح الأول، وثقةً بفطنةِ القارئ - [4].وعند قوله تعالى: ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾** [5] "فَسَّر ابن عطية السماءَ بأنَّها بِمعنى السَّحاب، وأنه :" سُمِّي بذلكَ تَجوُّزًا، لَمَّا كان يَلي السماءَ ويُقاربُها، وقد سَمُّوا المطرَ سَماءً للمُجاورةِ، ومنه قول الشاعر) [6]:(إذا نَزَلَ السماءُ بأَرض قَومٍ ... رَعيناهُ وإنْ كانوا غِضابا [7]) (فتجوزٌ أيضًا في »رعيناهُ«، فبتوسط المطرِ جَعلَ السماءَ عُشبًا) .[8] (وابن عطية يشير إلى ما يسميه البلاغيون المَجازُ المرسل وإن لم ينص عليه بالاسم، ومعنى البيت :إذا سقط المطرُ بأرض قومٍ فأخصبت بلادُهم، وأجدبتْ بِلادُنا، سِرْنا إليهم ورعينا نباتَهم، وإن

---

[1] الرعد:14.
[2]الصناعتين ١٨٤، خزانة الأدب ٩/ ٣٢٣.
[3]تفسير الطبري (شاكر) ١٦/ ٣٩٩ - ٤٠٠.
[4]هو أبو دهبل الجمحي، والشاهد في الأغاني ٧/ ١٣٩، ونُسِبَ للأحوص الأنصاري كما في حاشية ديوانه المجموع ٢٧٣، ورجَّحَ جامعُ الديوان نسبته لأبي دهبل.
[5]البقرة: 22

7انظر: المفضليات 359 وقد استوفى المحقق تخريجه، الحماسة البصرية ج1،ص:252..
8المحرر الوجيز ج1،ص:142.

غضب أهلها لم نُبالِ بذلك لِعزِّنا .والضمير في قوله» :رعيناه .«كأَنَّه عائدٌ إلى السماء التي بِمعنى المطرِ، سُمِّي النباتُ به لأنهُ سببُ حُدُوثه بأمر الله.

البلاغة والتلقي

طبيعة الاستجابة الجمالية للنصّ و وظيفته البلاغية من وجهة نظر البلاغة الجديدة:

تمهيد:

يعود سبب تعقيد الظاهرة الأدبية حسب الباحثين إلى فكرتي الأثر والقيمة فيها، ومن هنا يمكننا التعرف على التأثير الجمالي باعتباره - عاطفة تثيرها الرسالة لدى المتلقي الخاص وتتنوع فاعليتها طبقا لبعض العوامل التي يتّصل بعضها بالمتلقي ذاته[1]).

ومن هذا المنظور، فإن القيمة التي تعزى إلى النص ليست بالضرورة شيئاً كامنا فيه، بل يتمثل معظمها في استجابة القارئ أو السامع له؛ إذ أن هذا الأخير لا يكتفي بأن يتلقى بيانا جماليا محسوسا، لكنه يتأثر ببعض المثيرات وهذا التأثر في طبيعته تقييم.

و نستنتج مما سبق أنّ فكرة التأثير ذات طابع سيكولوجي في المقام الأوّل عندما نتحدث عن الأعمال الأدبية وكذلك فكرة القيمة، لكنها تتزحزح إلى المرتبة الثانية من وجهة النظر المعرفية . [2]ولقد استطاع «ريفاتير (Riffaterre- M) «أن يميز في إجراءاته التحليلية بوضوح بين المثيرات والأحكام الناجمة عنها، إذ أنّ الخصائص الجمالية التي تعزى لبعض الوقائع لابد من عزلها عن ردود الفعل السيكولوجية التي تثير، لأنّها بالنسبة للدارس اللغوي مجرد مؤشّرات بغض النظر عن قيمتها الإيجابية أو السلبية[3]).

---

[1]بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 95

[2]المرجع نفسه، ص: 96.

[3]علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، جدة، 1988، ص: 248.

وانطلاقا من هذا الرأي، فإنّ الأثر الرئيس للمجاز عندهم إنما هو إطلاق عمليات التلقي الأدبية للنص الذي يدخل فيه بمعناها الواسع، إذ يكشف حينئذ عن الوظيفة الشعرية التي تحدث عنها «جاكوسون» والتي يفضل هؤلاء الباحثون أن يسموها بلاغية، هذه الوظيفة التي تركز على الرسالة، بما هي رسالة في دوالها ومدلولاتها، وتبرز بشكل محسم الجانب الملموس للعاملات اللغوية[1]).

وبعد هذا، فقد لاحظ «تودوروف» أن الخاصّية الوحيدة المشتركة بين جميع الأشكال البلاغية أنّها كلها "مجوفة Opaque "أي أنها تنزع إلى أن تجعلنا نتلقى الخطاب، ذاته وليس دلالته فحسب .

1- التحليل التداولي للخطاب:

إن المهمة الأولى حسب أنصار هذا الاتجاه لتحديد علاقة البلاغة بالتداولية (Pragmatique)هي تعريف مجال كلّ منهما خاصّة أنّ هناك بعض التعريفات الموسعة المريحة التي تساعد على التحديد العلمي الدقيق وذلك مثل من يعرفون البلاغة بأنّها «فنّ القول بشكل عام» أو «فنّ الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ» ممّا يجعلها مجرد أداة نفعية ذرائعية[2]. يقول الباحث الألماني «لوسبرج Laus) « » :(berg- Hإنّ البلاغة نظام له بنية من الأشكال التصورية والبلاغية، يصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المتكلم في موقف محدد[3].

---

[1] بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 96.
[2] بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 97.
[3] Del Formalis ma a la neoretorica, P: 196.
نقلا عن بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 97.

أما **ليتش (Leitch, V)** فإنّه يرى بأنّ البلاغة تداولية في صميمها؛ إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع، بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما، ولذلك فإنّ البلاغة والتداولية البراجماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقـى.

2- تحليل عمليات التلقي وتأثيرها:

يتعيّن على الدارس البلاغي للخطاب أن يتبنى منهج اللسانيات الوصفية، ببعده الديناميكي المفتوح، محاولا تحديد الأشكال اللغوية المناسبة في النص دون إغفال للمحيط الذي وردت فيه، وذلك للكشـف عـن الاطـرادات الظاهرة ووصف حركتها[1].

فمحل الخطاب يعتبر الكلمات والعبارات والجمل التي تظهر في المدونة النصية لخطاب ما، دليلا على محاولة المنتج، توصيل رسالة إلى متلقي، مما يجعله يعني على الخصوص ببحث كيفية وصول متلق ما إلى فهم الرسالة المقصودة من قبل المنتج في مناسبة معينة. وكيف أن متطلبات المتلقي المفترض تـؤثر في تنظيم خطاب المنتج، وتتخذ هذه المقاربة الوظيفة التواصلية محـالا أوليـا للبحث، وبالتالي تسعى إلى وصف

[1] **دينامية النص (تنظير وإنجاز)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1990، ص: 38.**

الشكل اللغوي ليس كموضوع ساك وإنما كوسيلة منظمة دينامية للتعبير عن الدلالة المقصودة.[1]

وتساوقا مع هذا، يتمثل حكم القيمة في التعبير بشكل ظاهر أو ضمني عن مدى الرضى والارتياح الجمالي للوظيفة التي يقوم بها النص، أو الضيق بها والتبرم منها. فهو يفترض سلماً من القيم يصعب قياسه علميا حتى الآن؛ لأنه يرتبط بمتغيرات كثيرة ذات طابع نفسي واجتماعي وثقافي، يمكن أن يكون خاضعا لتأثير أنظمة قيمية أخرى أخلاقية ودينية وسياسية ماثلة لدى المفرد المتلقي شعوريا أولا شعوريا والدراسة المتعمقة للاستجابة الماثلة في حكم القيمة تنتمي إلى مستوى آخر من البحث الذي يتطلب منهجية وتصورات مختلفة عن تلك التي تقوم بتنميتها البلاغة والأسلوبية.

ومن هذا الجانب يرى «بيرلمان» أن التمييز بين أحكام الواقع وأحكام القيمة لايمكن أن يكون مطلقا؛ لأنّه يعتمد على درجات مختلفة من الكثافة والتداخل في كثير من الأحيان اعتمادا على المفهوم الجديد للتأويل الذي يرى ا «هانز جورج غادامير» أنه «يتمثل في التركيز على الوحدة الوثيقة بين اللغة والفكر باعتبار هذه الوحدة هي الفرض الذي تنطلق منه الألسنية وتصبح بفعله علما،... فعن طريق تحليل الظاهرة

[1] **بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 127.**

التأويلية؛ نجد أنفسنا في مواجهة الوظيفة الكلّية للفعل اللغوي، وفي انكشافها تمتلك الظاهرة التأويلية مدلولا كليا»[1].

على أنّ أكبر تحدّ واجهته التداوليات المعاصرة منذ مطلع الثمانينات تمثل في وصف عملية التأويل (التفسير) التامة للقول، نظرا للإشكالات التي بدأت تظهر وتطرح في مختلف مجالات العلوم التواصلية حيث تعددت المناهج والمقاربات النظرية في محاولة لسد الفراغات وضبط المفاهيم وتحديد الآليات، وذلك كلّه بغرض الوصول إلى نتائج تلائم التطورات التي عرفتها المجالات التواصلية الآلية (الحاسوب، والعقول الالكترونية، والانترنيت،...)

3- عوامل تكوين فهم الخطاب:

4-1- التوقعات:

السائد أنّ المتلقي يبدأ الفهم بعد تلقيه للرسالة موضوع الخطاب ويستغرق ذلك إجراءات متتالية توصله في النهاية إلى الفهم الكلّي للخطاب؛ ولأنّ السامع يتلقى الرسالة دون إرادة منه، فإنّ توقعاته لمضامين الخطاب تكون أقل درجة من توقعات متلقي النصوص المكتوبة، وذلك أن القارئ لا يتعامل مع النص بشكل محايد وبريء،

---

[1]فن الخطابة وتأويل النص ونقد الايديولوجيا، هانز جورج غادامير، ترجمة: نخلة فريفر، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت، 1988، ص: 34.

ولا يذهب إلى عالم النص وهو صفحة بيضاء، بل تكون لديه معلومات مختزنة في ذاكرته، تسمح له بالتعميم اعتمادا على مبدأ النظير، كما أن النص بخصائصه الظاهرة هو الذي يتيح للمتلقـي القيام بعمليات المقايسة والتصنيف والتماس الخصائص النوعية

ويقدم كل من **"ريزبك" (Riesbeck)** و **«شـــانك» (Schank)** «في دراستهما «التحليل التصوري» ما يدعم مبدأ الدور المهم الذي تـسهم به التوقعات في فهم القارئ، حيث ينسبان جزءا كبيرا من الفهم إلى توقعـات تصورية وليست معجمية، ويجزمان بأنّ تصنيف المفردات يتم على أسس من التوقعات في ذهن المتلقي أثناء تعامله النص اللغوي الذي يكون بحاجة إلى مع نقله إلى تصورات بغرض تحليله وفهمه وتفسيره.

وتنشأ توقعات المخاطب كذلك من مدى معرفتـه بـشخص الخطيـب وخلفيته، وكذا من الإمكانات الذهنية والتصورية التي يمكن أن تظهر في أقواله، كما أن للمسافة الزمانية والمكانية والاجتماعية دورها في طبع توقعات المتلقي إلى جانب بعض العوامل النصية والسياقية، مثل معرفة لموضوع أو سياق الخطـاب أو سياق أحداثه أو

الوضع الجسمي للأطراف المشاركة من حيث هيئة الجسم وطبيعة الحركة، وتقاسيم الوجه مما يجعل التوقعات أكثر دقة وتحديدا.[1]

2-4 -الصّفات الشخصية للمتلقي:

ليست المعرفة أو التوقعات فقط هي التي تلعب دوراً مهمـا في الفهـ والتمثيل الإدراكي، بل أيضا الصفات الشخصية للمتلقي، تلك الصفات التي تترسخ من خلال التجارب الحياتية والخبرات الذهنية التي يبنيها في الوعي اللاوعي، والتي على ضوئها تكون محصلة الفهم الأولية مناسبة لما اخترته من قبل أو غير مناسبة، إذ تقوم عمليات فهمه على ربط كل حدث أو حالـة بالتجارب السابقة المشابهة، ويتم ذلك خلال أقيسة ذاتية الصنع يخزن فيها ما لا يتلاءم معها بوصفه نمطا جديدا[2]).واعتماداً على الصفات الشخصية للمتلقي، يجب أن يفرّق بين الفهـم الشخصي للخطاب والفهم الشخصي للموقف الذي يتحدث عنه الخطـاب.

القرائن الحجاجية وتداولية الخطاب :

وهي الوسائل اللغوية ،والمكونات اللغوية المختلفة للجملة ،التي توجه الملفوظ وجهة حجاجية معيّنة،وهي نوعان :

---

[1]تحليل الخطاب، ج. ب . براون، ج.بول- ترجمة محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، الرياض، مطبوعات جامعة الملك سعود، 1997، ص: 48.

[2]مقال العلاقة بين فهم القارئ وفهم كاتب النص، ص: 260

1- الروابط الحجاجية والقوة الاقناعية :

معاني الروابط في معاجم اللغة تدور حول التوثيق، والتثبيت،والشدّ .

وفي الاصطلاح :تعني العلاقة التي تحصل بين شيئين ببعضهما البعض،ويتعيّن كون اللاحق منهما متعلّقا بسابقه[1]. والروابط الحجاجية أدوات إجرائية تنفتح على سياقات مختلفة بفعل ما يوظّف فيها من آليات لغوية مختلفة ،بغية إيضاح الدلالة الحجاجية التي يؤديها الرابط بكيفية سليمة.

ولمّا كانت اللغة لها وظيفة حجاجية ،وكانت التسلسلات الخطابية فيها محددة بوساطة بنيةالأقوال اللغوية بتوظيف مؤشرات لغوية خاصّة بالحجاج توصف بالروابط الحجاجية [2].التي تعدّ مؤشرا مهمّته القيام بعمليات حجاجية .تكشف من خلالها عن استراتيجية المرسل امام المتلقي.

ومعرفة قيمة الروابط الحجاجية لا يتأتى إلاّ من خلال دورها الفعال في الربط الحجاجي بين قضيتين،على أن تكون هاتان القضيتان حجاجا في الخطاب.

[1] ينظر:معجم المصطلحات النحوية والصرفية،ص:90.
[2] ينظر الحجاج والمعنى الحجاجي،ص:63

وظيفة الرابط الحجاجي :

يؤدّي الروابط الحجاجي إلى إبراز الدلالة الحجاجية بحكم تواشجها مع نسيج النصّ، لأنّها تبرز ضمن مكوناته اللغوية التي تأتي ضمن " خليط من الروابط والعوامل التي تتطلّب النظر في الوجوه والفروق بينها للوقوف على أيّها أقوى حجاجيا أو ما يتولّد عن تعاملها من فروق" [1]،وبتفاعل هذه الروابط في ما بينها داخل نسيج الخطاب وفق استراتيجية معينة تتولّد الدلالة الحجاجية .لذا يرى ديكرو أنّ الروابط الحجاجية تخدم التوجه الحجاجي ،إضافة إلى الوظائف والأغراض اللغوية.فتسهم بذلك مساهمة فاعلة في الانسجام والتماسك النصّي ،لتغري متقبل الخطاب إغراء ربما يحمله على الإذعان أو التسليم بأطروحة المحاجج[2].

وهذه الروابط لها قوّة إقناعية خارقة ،إذ تمثل علاقة الشخص بأفعاله وما يتركه من تأثير على المتلقي ،وهي تؤدي دورا متميّزا في زيادة الإقناع.فهي تنقل الملفوظ من بنية الإخبار والإبلاغ إلى بنية الحجاج .

مثال : الرابط **(بل)** يعدّ من الروابط المهمة في الخطاب ،ليس لأنّها تقنية من تقنيات الإضراب فحسب،و إنما لأنها من الروابط التي" تقيم علاقة حجاجية مركبة

[1] نظرية الحجاج في اللغة ،ص: 377

[2]ينظر :مثنى كاظم،أسوبية الحجاج التداولي والبلاغي ،ص:72.

من علاقتين حجاجيتين فرعيتين تسيران في اتجاه النتيجة المضادة أي بين الحجة القوية التي تأتي بعد (بل) والنتيجة المضادة للنتيجة السابقة" [1] وبل إذا دخلت على الجمل كانت تدل على الاضراب الابطالي أو الانتقالي [2]ويقصد بالضراب الإبطالي أن تأتي الجملة بعد بل تبطل بها معنى الجملة السابقة كقولنا :ليس يوسف عليه السلام ملاكا بل بشرا.أما الاضراب الانتقالي فهو ان ينتقل الخطاب بنا من غرض إلى غرض آخر،مع عدم إرادة إبطال الكلام الاوّل،مثل نجح محمد في الامتحان بل دخل الجامعة[3].

وتعدّ الروابط الحجاجية موضوعا أساسيا في تحديد بنية الاقتضاء،لكونها آلية مهمّة في عملية الربط داخل النسق القول،وقد وسّع ديكرو وظيفتها لتؤدي أغراضا إستدلالية حجاجية بالإضافة إلى الربط بين الوحدات الدلالية.

والروابط الحجاجية صنفان:

1-**روابط مدرجة للحجج** مثل : (حتى ،بل ،لكن،مع ذلك،لأنّ...) .

2-**روابط مدرجة للنتائج** مثل : (إذن، لهذا،وبالتالي ،أخيرا...)

2- العوامل الحجاجية و فاعليتها عند المتلقي :

[1] اللغة والحجاج،ص:63.
[2] ينظر معاني النحو ،ج3،ص:224،نقلا عن مثنى كاظم،أسوبية الحجاج التداولي والبلاغي ،ص:74.
[3] ينظر: مثنى كاظم،أسوبية الحجاج التداولي والبلاغي ،ص:74.

يرتبط مفهوم العوامل الحجاجية بضرب من الحجاج ،هو الحجاج التقني المقيّد للقول الواحد في حجّة واحدة ،والعوامل الحجاجية إذا وجدت في الخطاب فإنّها تحوّل وتوجّه إمكاناته الحجاجية ؛لكون هذه العوامل تحصر إمكاناته وتقيّدها التي يريد الحجاج بها [1].

فإنّ العامل الحجاجي يختص بقضية ذات موضوع واحد،ولعل النجاعة التي يحققها العامل الحجاجي تكمن في إطار ملحته على جواب واحد وهو ما يقيد ويحصره ويقاربه إلى المتلقي وبهذا يحيط العامل بالحجة ،ويرفع من فاعليتها الحجاجية،و "العوامل الحجاجية لا ترتبط بين متغيرات حجاجية ؛أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة من الحجج،ولكنّها تقوم بحصر الإمكانات الحجاجية وتقيّدها التي تكون لقول ما،وتضمّ مقولة العوامل أدوات من قبيل: كاد وما ،إلا ،و إنّما"[2].

[1] ينظر :البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجّه إلى بني إسرائيل ،نقلا عن مثنى كاظم،أسوبية الحجاج التداولي والبلاغي ،ص:101.
[2] اللغة والحجاج ،ص:27،نقلا عن مثنى كاظم،أسوبية الحجاج التداولي والبلاغي ،ص:102.

البلاغة والتأويل

1- عملية الفهم ضمن إطار الوظائف الحجاجية و الاتصالية للخطاب:

تمهيد:

إنّ عملية الفهم تشكل دائرة مغلقة تحكمها قوانين محددة خاصة بهـا، بينما تتّسع عملية التفسير لقضايا أخرى تتحكّم بها عوامل متباينة وفي حين لا يتطلب فهم الوحدة اللغوية مهارات خاصة، فإن عملية التفسير تحتـاج إلى مهارة إضافية، وعلى الرغم من اقتناع علماء النفس بأن الاتصال التفاعلي لا يقتصر على الفهم فقط، بل يتعداه إلى مرحلة التفسير فإنهما قد أدمجا في بوتقة واحدة، يشار إلى تحقيقهما بنجاح عملية الاتصال التفاعلي1.

والاتصال التفاعلي يطرح نفسه في الخطابات الحجاجية الموجهة ،لتفاعل المحاجج و ما يدّعيه من مقولات حجاجية مع المستقبل المعارض ،وهنا تطرح التأويلية ذاتها في الخطابات الحجاجية الموجّهة ذات الطاقة التأثيرية و الإقناعية . فضلا عن متابعة مسالك عملية الفهم والتأويل.

---

[1]مقال العلاقة بين فهم القارئ وفهم كاتب النص، د.فالح شبيب العجمي، عـالم الفكر، المجلس الوطني الثقافي والفنون والآداب، دولـة الكويت، المجلـد 28، العدد01، يوليو/سبتمبر 1999، ص: 346–347.

ونظرا لأهمية عملية الفهم و التأويل ، فقد بدأ التحول في مجال علم النفس المعـرفي خلال الفترة الأخيرة من تحليل فهم الجملة إلى فهم النص/ الخطاب. ويلتقـي علم اللغة بعلم النفس المعرفي في الجانب (المقصدي)، لكون التحليــل اللغوي بحاجة إلى نواح غير ظاهرة في الخطاب، ومجال وجودها هو التحليـل. كما دخل كذلك التأويل في علاقات مع نظريات ومجالات نقدية أخرى تتساوق معه جانب من جوانبه، كما كان الشأن في ثنائية الحجاج والتأويل ،ليغدو الحجاج رافدا من روافد الفعل التأويلي الذي يجريه المؤوّل على النصّ مستنطقا معالمه ويجلي مستغلقه باستنتاج مضامينه و الوقوف على مضمر حججه.

2-حجاجية التأويل وتأويلية الحجاج :

وهنا ندلف إلى ثنائية **تأويل /حجاج** ومدى تساوقهما بالرغم من تنافرهما ردحا من الزمن ،وحسب مزاعم أساطين التأويلية ، يعدّ الحجاج عندهم رافدًا من روافد الفعل التأويلي ، كما يعدّ التأويل رهاناً يعوّل عليه في بعض الخطابات الحجاجية. تبدو المعادلة معقّدة نوعًا ما ويصعب هضمها ،ولكن من خلال تحليلنا سنوضّح ذلك .

إنّ ثنائية **(الحجاج/التأويل)** ثنائية لم يتقارب ويتفاعل طرفيها في الدراسات القديمة بحكم البون الشاسع بينهما ،لأنّ هذا الكيان الذي حمل في داخله نواة التفاعل بين فرعين

معرفيين طالما اعتقد المنظرون افتراقهما ، نعني **الحجاج** فرعا معرفيا مأسورا بالأشكال المنطقية ،مأخوذا بالضوابط الرياضية ،و**التأويل** فرعا معرفيا تغريه الأبعاد وتلهيه بواطن النصوص وما تتضمنه من خلجات نفسية وأغوار روحية تحملها أبنية الكلام وتتضمنها حوامل اللغة ،كيان رأب الصدوع المفترضة بين المبتغى التأويلي وآلاته المساعدة .[1]

و هكذا يغدو الحجاج رافدا من روافد الفعل التأويلي الذي يجريه المؤوّل على النصّ يستنطق معالمه ويجلي مستغلقه ؛إذ إنّ المؤول لحظة محاججة خصمه الواقعي أو غريمه المفترض ،إنّما ينتصر لزعم تأويلي على حساب زعم تأويلي آخر اعتقد في فساده وآمن بحدوده.[2]، فحينما نحاجج فإنّنا نؤوّل ،وكما أنّ بلاغة التأويل كذلك حرصت على إخراج الحجاج من قوقعة البرهان الاستدلالي الصّوري إلى رحاب اللغة الطبيعية التي تجعل منه ممارسة تأويلية، ممّا يجعل من " العلاقة بين التأويل بوصفه خطابًا حجاجيًا والحجاج بوصفه ممارسة تأويلية "[3] ،ففي ظلّ هذا التفاعل والتداخل المتبادل

---

15. علي الشبعان ،الحجاج والبلاغة وآفاق التأويل ،دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1،2010،ص :463

16. المرجع نفسه ،ص :463

17. عمارة الناصر ،الهرمينوطيقا والحجاج ، مقاربة لتأويلية بول ريكور ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،ط1:2014م ،ص:09

والاستلزام الثنائي سار كل من **التأويل/ الحجاج** جنباً إلى جنب لخدمة كلّ واحد منهما الآخر، ولكن هذا التلازم ليس في كلّ الأحوال ،فمن الممكن الاستغناء عن بعضهما البعض في أحوال متفرقة .

فهذا التصاهر الثنائي بين الحجاج كعملية مركبة تتجمّع في محيطها كفاءات مختلفة (اللغة ،التداول والتعامل العقائد والتصوّرات...) وبين العمل التأويلي كعمل يتجاوز حدود الدائرة التفسيرية ، التي لا يشغلها سوى التأصيل الإبستمولوجي ،والضبط المعجمي الدلالي ،ليحلّ في محيط **"الدائرة التأويلية "** التي تقرأ المغيّب وتحفر في غيم المعاني الموشومة في أعماق الذات الكاتبة [1] . وفق رؤية تفاعلية تجعل الحجاج آلية تصنع الكون التأويلي وتبني عوالم الاعتقاد الممكنة.

3- الحجاج وبناء العوالم الممكنة :

لقد ألفينا فيما سبق، أنّ الحجاج يعدّ آلية تأويلية يستخدمها **المحاجّ/المؤوّل** ،لإثبات مواقفه وترشيح أرائه. وهذا الاعتبار يؤكّد الوظيفة التحويلية التي علّقها المنظّرون بالحدث الحجاجي من خلال جمع من المفاهيم والاصطلاحات

18. ينظر :علي الشبعان ،الحجاج والبلاغة وآفاق التأويل ،دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط2010،1،ص :463

(المجاوزة/البناء/التوجيه) ، وهذه الوظيفة تتجلّى أساسًا فيما يصطلح على تسميته **بالعوالم الممكنة "les modes possibles"** من جهة كونها محاصيل تأويلية ووجوها تحقيقية لنُدر تأويلي ممكن يروم **المحاجّ/المؤوّل** [1]، ووفقه يحصل فعل التأثير والإقناع . ويظلّ اشتغال **المحاجّ/المؤول** في منطقة **"المابين" (الذات/الموضوع)** في فضاء الاختلاف الذي ليس فضاء الذات ولا فضاء الموضوع، في هذا المكان تصبح الذات غير متفوّقة، لا تمثل معرفتها ما تعرفه ،أي إنّها يمكن أن تقول شيئا لم تعرف بأنّها تقوله، وفي هذا الوضع يجد المؤوّل نفسه بين الذات والموضوع، بين المفكّر والفكر. ليصل إلى عوالم من المعاني المتجدّدة للنص، و ترسيخ قواعده في عقول المتقبلين وإثبات حقائقه في كيانات السامعين ، لذلك تحرّك المسار التاويلي المتبوع بمسار برهاني حجاجّي ،حسب المخطط الآتي [2].

---

19. **علي الشبعان ،الحجاج والبلاغة وآفاق التأويل ، ص: 470**
20. **المرجع نفسه ، ص: 470**

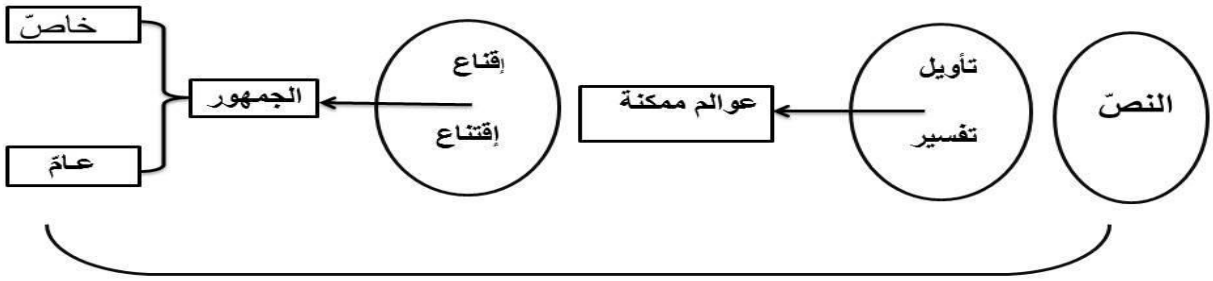

المسار التأويلي / المسار البرهاني [33]

التأويلية المعاصرة و البراديغم الحجاجي :

إنّ النموذج الحجاجي للهيرمينوطيقا يتّضح من خلال التوجيه المنطقي للغة وبنيتها ، و تكييف الطابع الحجاجي بما يتناسب مع أهدافها العامّة ، وتغدو الحجاجية الفلسفية أنموذجا للعقلانية المعاصرة وهذا ما نادى به **بول ريكور** من خلال جعل هذا الأنموذج مخترقا لأنساق معرفية متعدّدة ويكون طرفا في كل الحوارات التي ينظّمها العقل داخل الخطاب .

وعلى ضوء هذه المقاربة سنحاول الكشف عن المناحي الحجاجية التي تقوم عليها الهيرمينوطيقا في توجيه الفكر من خلال رصد الوظائف التعليلية والاستدلالية والبرهانية في اللغة .

والحديث عن النموذج الحجاجي وعلاقته بالهيرمينوطيقا يحيلنا إلى العلاقة الوطيدة بين البلاغة والتأويلية ذاتها " فإنّ الهيرمينوطيقا تستعير بشكل كبير أدواتها من فن البلاغة"[1]، لأنّ كلاهما فنّ يهدف إلى التحكّم في المعنى وتنظيم الخطاب ،وجسر مباشر للوعي يوطّد العلاقة التشاركية والتفاعلية بين الذات واللغة من جهة ، وفي مجاورة متجذرة بين البلاغة والتأويل من جهة أخرى .

وعليه فإنّ بلاغة التأويل تعتمد على فرعين أساسيين : [2]

1- **بلاغة الفهم :** تتكئ على العلوم الآلية الموصلة إلى مرحلة الفهم ،كالموهبة و البحث اللغوي والنحوي والصرفي و البلاغي ، و كذا امتلاك الذّائقة المتكوّنة من تراكم المقروء.

2- **بلاغة الإقناع :** بعد تحقّق الفهم لدى المؤوّل كمرحلة أولى ،يسعى فيما بعد إلى تبريره وتعضيده بالأدلّة والحجج المبنية على آليات داخل النصّ وخارجه ،وحمل المخاطبين على التصديق بها والتسليم لها .[3]

وبناءً على سبق يتجلّى لنا بأنّ التأويل **فعل إقناعي** يحتجّ فيه المؤوّل للمعنى الذي وقف عليه بفضل آلياته التأويلية ، التي هي آليات حجاجية في الوقت ذاته ؛و ذلك أنّ "النصّ تجري عليه ممارسات تأويلية كثيرة تؤدّي إلى جدل تأويلي حول تملّك الحقيقة

---

21. عمارة ناصر ، اللغة و التأويل ص :23

2 المرجع نفسه ص :23

3 ينظر : محمد بازي ،نظرية التأويل التقابلي ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،ط1،2013،ص:66

الأصلية المودعة في النص " [1] ،وللقبض على هذه الحقيقة نجد "المؤوّل يُسخِّر كلّ الآليات الخطابية والموجّهات المقامية المتاحة والمفترضة ،ليجعل الخطاب التأويلي – بما هو خطاب مصاحب – رشحا فاعلا يثبت النّص ، لا بل يعرّفه ويسمّيه "[2]

و المدرسة البرهانية أكّدت لنا هذا التوجه **(التأويلي /الحجاجي)** على رأسها **بيرلمان** و **تيتيكا** على أنّ التأويل يقدّم نفسه بوصفه قراءة لها دوافعها الحجاجية في مواجهة النصّ ، من أجل اختراقه والانتصار عليه وإلاّ لما ظهر الفرق بين النصّ والنصّ المؤوّل، ولقد نبذه بيرلمان إلى أنّ " التأويل يمكن أن يفضي إلى وجه حجاجي لاعتباره قوّة حجاجية مستنتجة تدفع إلى الفهم والاقناع، بواسطة قرارات إنجاز الفعل"[3] وقد استخدم علم التأويل الدائرة التأويلية في الأنموذج الحجاجي للخطاب ،واعتبرها حلاً أنطولوجيًا لمشكلة المسافة داخل الوعي و اللغة ، أو ما يسمى فنّ **التماسف** "اتخاذ المسافة **distanciation"** حيث إنّ الكلّ لا يفهم إلاّ من خلال الجزء والجزء لا يفهم إلّا من خلال الكلّ "، وتعمل دائما هذه العلاقة الدورانية لصالح تثبيت الحقيقة

---

4 محمد بازي ،نظرية التأويل التقابلي ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،ط2013،1،ص:477

5 علي الشبعان ،الحجاج والبلاغة وآفاق التأويل ص:474

6 عمارة ناصر ، اللغة و التأويل ص :24

7 طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان والتكوثر العقلي ،ص:213.

***البراديغم أو النموذج العلمي :هو تقليد علمي خاص ومنسجم هو تلك الإنجازات العلمية والتي تقبل في زمن معيّن،وتشكّل أساسا قويا لطرح المشكلات العلمية ولطرائق حلّها.وهو كذلك مجموعة القيم التي يشترك الباحثون فيها في قبولها والتمسك بها،و تتمثل هذه القيم في المناهج والمعايير التي تتحدد وفقا له.أنظر :حسن الحريري،التأويل الابستيممولوجي اللاوضعاني بين براديغم توماس كون وبرنامج بحث لاكاتوس ص:04/03**

،وتثبيت بينية الفهم الانطولوجي غير الخطّية من خلال دورها البلاغي الحجاجي من خلال أدوات المنطق والاستدلال البرهاني ،في الإثبات والنفي الجدليين